436

HARLEQUIN

روايات أحلام

سراب

كارول مارينيللي

Eman
www.liilas.com

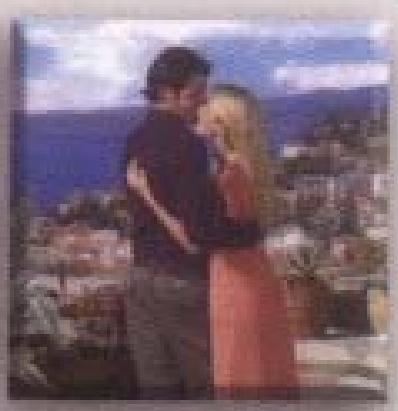

سراب

- أظن أنه علينا أن نتزوج!

قالها هكذا ببساطة، وكأنه يتحدث عن الطقس أو يقترح عليها الخروج لتناول الغداء.

- أنا بحاجة إلى زوجة، ولكن لسنة واحدة...

فسألته ليلي: - ولم أنا؟

- ولم لا؟ أنت جميلة، مرحة وجذابة للغاية.. فلم لا أمضي معك الأشهر الاثني عشر المقبلة؟

- يمكنك أن تحصل على أي امرأة غيري.

- لكنهن سيرتكبن أخطاء غبية كثيرة مثل الوقوع في الغرام والظن أن هذا سيدوم إلى الأبد.

- بينما أنا وأنت نعلم أن هذا ليس صحيحا.

- بالضبط. فكري في الأمر!

الغريب في المسألة أنها فكرت في الأمر.

لم تفكر في المنزل.. ولا في السيارة.. أو المال.. بل فيه هو... في الاثني عشر شهرا رائعا مع هذا الرجل. كيف يمكنها ألا تفكر في ذلك!

www.liilas.com

لبنان:	3000ل.ل	الجزائر:	1دينار
سوريا:	100ل.س.	السعودية:	10ريال
الأردن:	1.5دينار	مصر:	8جنيه
الكويت:	750فلس	المغرب:	15درهم
الإمارات:	10دراهم	تونس:	2.50دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

ISBN 978-9953-15-404-6

شبكة ليلاس الثقافية

كارول مارينيللي

طُلب من كارول مارينيللي مؤخراً أن تدوّن في إحدى الاستمارات العمل الذي تشغله، فكانت سعيدة جداً لتمكنها أخيراً بعد كل تلك السنوات من تدوين كلمة «مؤلفة». وبجانب خانة «النشاطات التي تريح أعصابها»، لم تتردد كارول كثيراً قبل أن تدون عبارة «الكتابة».

أما عندما وصلت إلى خانة الهوايات، فلم تشأ أن تبدو مهووسة بالكتابة، ففكرت ملياً وكتبت: «السباحة والتنس». ولكن بما أن الكلور الموجود في «أحواض السباحة يتلف شعرها» ومشاهدة مباريات التنس أسهل بكثير من ممارستها، يمكنكم أن تتصوروا ما هي هوايتها الحقيقية!

١ - ما الذي يفعله هنا؟

- ابتسمي.

كانت ليلي تصلح زينة شفتيها أمام مرآتها الصغيرة فكادت تسمع صوت معلمة «الباليه» في طفولتها وهي تناديها، بصوتها المتكلف، طالبة منها أن تبدو سعيدة مسترخية أثناء تأديتها لحركة مؤلمة للغاية.

اجتماع هذه الليلة سيكون مؤلماً هو أيضاً. أما التجاوب والسعادة فهما آخر ما تشعر به، رغم أنها أمضت ساعة أمام المرآة، تسرّح شعرها الأشقر وتضع الزينة على وجهها بعناية قبل أن تلبس بذلة كحلية أنيقة للغاية. لكنها، بعد ذلك، لم تستطع أن تستعيد ثقتها بنفسها المعتادة. لن تمنحها الملابس أي قوة لتنقذها الليلة! الأمر الوحيد الذي نالته بعد أسابيع أمضتها في صراع مع المصارف وسماسرة العقارات والأسهم والسندات، هو صداع شديد بعد أن أدركت أنها لا تستطيع أن تحمي أمها هذه المرة.

عليها الآن أن تدخل إلى الاجتماع مليئة بالثقة، لتحاول أن تقنع هؤلاء الناس أن بإمكانهم أن يكونوا كما يريدون . . ! أن يحققوا أي هدف إذا ما ركزوا عليه.

شعرت وكأنها دجّالة.

تمتمت، وهي تغطي بمسحوق التجميل بثرة صغيرة على ذقنها، لو أن الحياة من السهولة بحيث تلوّح بعصاها السحرية فتختفي المشاكل كلها. وخطر لها بكآبة وهي ترى أن البثرة ما زالت ظاهرة رغم الثمن

www.liilas.com

الباهظ الذي دفعته لقاء المستحضر الخاص لتغطيتها أن المشاكل لا تختفي.

انتعلت حذاءً خفيفاً عالي الكعبين ذا أربطة وهي تتمنى لو ينتهي هذا اليوم وهذه الأمسية لتستغني عن حذائها هذا، وإن كان هذا لا يعني أنه ليس ممتازاً وغاية في الجمال ما يعكس براعة الأيدي التي صنعته، ويظهر أظافر قدميها المصبوغة بلون الشفق. كان كعبا حذائها المرتفعين يمنحان ساقيها حيوية وجاذبية هي في أمسّ الحاجة إليهما الليلة. وخرجت وهي تهمس: «هيا يا حذائي لتؤدي واجبك».

كانت قطرات المطر تتساقط على زجاج السيارة أمامها فتخرجها من أفكارها. وكانت ليلي تعلم أنها إذا لم تشأ أن يبللها المطر، مضيفاً بذلك مصيبة أخرى إلى مصائبها، فعليها أن تبقى في السيارة. الارصاد الجوية قالت إن نهاية هذا النهار الحار الخانق في مدينة ملبورن ستكون بشكل عاصفة. وتوجهت إلى موقف السيارات وما أن أصبحت في المركز حتى توقف هطول المطر.

عندما دخلت رأت زبائنها في انتظارها، بعضهم يقف وحيداً وقد بدا عليه التوتر، وكأنه سيهرب في أي لحظة، والبعض الآخر يقف في مجموعات يشرب القهوة. التفت الجميع ليحيّوها، ولم تكن ابتسامتها زائفة كما توقعت. إذا شعرت بسرور حقيقي لرؤية الوجوه الجديدة والمألوفة لأناس يتطلعون إليها لكي تساعدهم في تغيير حياتهم.

- مساء الخير جميعاً. تابعوا أحاديثكم لبعض الوقت. إنني مبكرة قليلاً، فدعونا نمنح الذين لم يصلوا بعد الفرصة للحضور قبل أن نبدأ.

أخرجت ورقة من حقيبتها وراحت تضع علامات على الأسماء في القائمة، ثم أعطت البعض كتيّبات صغيرة. وابتسمت بحرارة لامرأة جديدة ومتوترة للغاية دخلت الغرفة للتو. بدا عليها الخجل الشديد. أخذت القادمة الجديدة تطرف بعينيها وهي تنظر في أنحاء الغرفة فيما

اعتصرت يديها بتوتر. ورقّ قلب ليلي لهذه الغريبة، وأعجبتها خطوتها الجريئة بقدومها هذه الليلة فسارت نحوها على الفور لترحب بها وهي تقول بحرارة: «اسمي ليلي. مرحباً بك في «بدايات جديدة».

فجاء الجواب المتوتر: «اسمي أماندا. لم أعرف ما إذا كان عليّ أن آخذ موعداً».

فقالت ليلي: «لا داعي. أريدك فقط أن تملئي استمارة، وبعد ذلك تشربين القهوة وتبدئين بالتعرف إلى البعض هنا. نحن ودودون جداً مع بعضنا البعض».

مساعدتها لأماندا في ملء الاستمارة استغرقت وقتاً أكثر من المعتاد. كانت أماندا قد فقدت كثيراً من وزنها، وخسرت زواجها، ثم الثقة القليلة بالنفس التي كانت لديها. لكن ليلي استطاعت أن ترى خلف ذلك الخجل الظاهر امرأة قوية للغاية ما جعلها تتلهف لأن تظهرها للعيان.

- هذا حسن. هذا كل ما عليك أن تسجليه رسمياً.

ولفت انتباهها انفتاح الباب. حسناً، ليس انفتاح الباب بحد ذاته بل الرجل الذي دخل منه، إذا خطر لها على الفور أنه ضل طريقه.

لم يكن يبدو عليه أنه ضل طريقه لكنه لا يشبه هؤلاء الرجال المجتمعين هنا.

بدا هذا الرجل من اولائك الذين يحتلون غلافات مجلات المشاهير اللالامعة، أو يختالون عارضين آخر الأزياء في دور العرض... أو ينتمون إلى الأحلام التي تدير الرأس، واحمر وجهها لهذه الفكرة.

لا بد أنها رأته من قبل في مكان ما. إنها واثقة من ذلك، لكن الشك تملّكها في الوقت نفسه. فلو حدث ذلك، لتذكرته لأنه رجل مذهل لا يمكن أن يُنسى.

إنه طويل القامة، رشيق الجسم، بالغ الوسامة وعفوي الأناقة. كان

شعره البنّي الداكن رائعاً حتى بعد أن دس أصابعه فيه وهو يجول بعينيه الزرقاوين في أنحاء القاعة. لم يكن نحيلاً على الإطلاق، كما رأت ليلي وهو يخلع سترته لينفضها من المطر. وتحت قميصه الأبيض، استطاعت أن ترى بطنه القوية العضلات. كان حضوره من السيطرة بحيث ساد الصمت في القاعة والتفتت الرؤوس إليه وهو يقف حاملاً سترته وكأنه يتوقع أن يتقدم منه أحد ليأخذها وفعلاً تقدم من يأخذها منه.

جيتي، التي كانت حتى عهد قريب تضيف إلى عصيدة الحبوب التي تتناولها صباحاً كأس فودكا وعصير برتقال، تقدمت منه وأخذت سترته الفاخرة ثم علقتها على المشجب بينما حبس كل في القاعة، ومن ضمنهم ليلي، أنفاسه بحركة لا إرادية، محدقين بأفواه مفتوحة إعجاباً إلى هذا الذي لا يبدو من هذا العالم.

– هل يمكنني مساعدتك؟ اسمي ليلي هارير.

طرحت السؤال وهي تمدّ له يدها مصافحة كأي قادم جديد آخر، وذلك لإراحته. وهذا لا يعني أن الارتياح لم يكن يبدو عليه، بل كان ينضح ثقة بالنفس، بينما راحت ليلي تسعى لتثبيت ركبتيها، شاعرة بنفسها وكأنها فتاة صغيرة تنتعل حذاء أمها العالي الكعبين وتتمايل عليه أثناء تقدمها نحوه.

فأجاب ببطء وصوت مهذب: «أنا إذن في المكان الصحيح. أنا هنا لألتحق بمجموعة (بدايات جديدة)».

طرفت بعينيها ثم عادت فاستدركت وحاولت أن تتذكر أن عليها أن تعامله كأي شخص آخر. حاولت ذلك ففشلت. كما فشلت في أن تتكهن بما أحضره إلى هنا. وكانت لا تزال تمسك بيده تهزها، فتابعت تقول: «مرحباً بك. أريدك فقط أن تملأ الاستمارة الرسمية».

– بكل تأكيد.

وسحبت يدها من يده الدافئة، محاولة أن تسيطر على ارتباكها وهي تعود إلى الطاولة وتناوله الاستمارة الرسمية ليملأها. كانت مرتبكة فقط... وللغاية!

كانت رائحته رائعة، أشبه بمرورها في قسم العطورات الرجالية في متجر ممتاز. واستنشقت رائحة عطره، محاولة ألاّ تلاحظ عينيه الزرقاوين النافذتين أو ملامح وجهه الوسيمة.

سأله: «أتحتاج إلى قلم؟».

– نعم من فضلك.

وحدّق في القلم الحقير الذي قُدم إليه، ثم ومن دون أن ينطق بكلمة، سار إلى حيث سترته وأحضر منها قلماً ليعود إليها عند الطاولة حيث جلست.

عاد الحاضرون إلى أحاديثهم إنما بصوت خافت الآن، وقد أرهف الكل سمعه ليسمع أجوبته على اسئلة ليلي.

قالت: «لا حاجة بك لكتابة شهرتك، أو عنوانك، لكننا نريد رقم صندوق بريدك».

– حسن جداً. بالمناسبة، أعجبني حذاءك.

كان يجلس بجانبها باسترخاء واضعاً ساقاً على ساق وقد استقر اللوح الذي عليه الورق على فخذه. وبشكل ما، استطاع أن يركز على الورق، بعد أن تأمل بعين خبيرة ساقيها نزولاً إلى أصابع قدميها.

سعلت وقد توهج وجهها وهي تحاول أن تركز على الاستمارة: «شكراً. إننا نسأل هنا عن راتبك، وعما إذا كان بالإمكان تصنيفه من الدرجات الثلاث الأولى...».

قاطعها: «هو كذلك».

– إذن، في هذه الحالة...

وسعلت مرة أخرى فهي تكره الحديث عن المال أكثر من أي

www.liilas.com

موضوع آخر. وتابعت: «إننا نسأل إن كان بإمكانك دفع تكاليف الجلسة... إذ أن هذا يعتمد على الفئة التي تنتمي إليها...».

نظر إلى قطعة الورق: «الفئة العليا، وبسهولة».

- إذن نطلب منك أن تساهم بخمسين دولاراً. إذا لم تكن تحمل المبلغ الآن يمكنك أن تدفع في المرة القادمة. وإذا كنت تفضّل عدم دفع النقود، فنرجو ألاّ يمنعك هذا من المشاركة في الجلسة القادمة، فالمساهمة هنا اختيارية.

فقال وهو يخرج من جيبه محفظة نقود فاخرة أخرج منها ورقة نقدية: «ما من مشكلة».

- سأكتب لك إيصالاً.

- لا ضرورة لذلك.

وعندما تجاهلته وأخذت تكتب الإيصال، استأنف ملء الاستمارة الرسمية، ثم ما لبث أن سألها مقطباً: «أخبريني، إذا كان مدخول الشخص عالياً فلِمَ تعرضين عليه عدم الدفع؟ هذا غير مفهوم في منطق الأعمال».

فقالت باسمة: «هذا ليس عملاً. مؤسستنا «البدايات الجديدة» هي جمعية للغني والفقير. على أيّ حال، حسب علمي...».

وسكتت، لكنه بقي يحدّق فيها: «تابعي حديثك».

- حسناً، لعلك قادم لتوّك من الكازينو، بعد أن فقدت كل ما تملك... قد تكون أعمالك متهارة. ثمة أوضاع كثيرة يجد أفراد مجموعة كهذه أنفسهم فيها. أسباب كثيرة تدفع الناس إلى هذا النوع من الجمعيات... ومن المؤكد أني لست من يحكم على ظروفك.

- يسرني أن أسمع هذا.

وقطب قليلاً إزاء البند الأخير في الاستمارة، وسألها: «ماذا تريدين أن تعرفي هنا بالضبط؟».

- حسناً، كما يشير السؤال، نحاول أن نعرف ما جاء بك إلى مؤسستنا

هز كتفيه: «اقترح عليّ ذلك شخص أعرفه».

فابتسمت بصبر: «ما الذي ترجوه من وراء ذلك؟ معظم الموجودين هنا لديهم أسبابهم، يأملون أن يغيروا جزءاً من حياتهم أو يريدون توجيهاً للوصول إلى هدفهم، أو اختيار عمل أفضل... ويساعدني أن أعلم ما الذي ترجو الحصول عليه...».

وتلاشى صوتها عندما عاد إلى الكتابة حتى أنهى الورقة وناولها إياها بابتسامة شبه متكلفة.

أخذتها منه شاكرة متعمدة عدم قراءة ما كتبه، رغم تلهفها إلى ذلك: «هو ذا الإيصال. والآن سننتقل إلى غرفة الاجتماعات بعد نحو خمس دقائق. إذا شئت أن تتناول فنجان قهوة قبل أن نبدأ، فمرحباً بك».

لكنه هزّ رأسه قائلاً: «أريد فقط كوباً من الماء».

بدا من ملامحه أنه يتوقع منها أن تحضر الماء له. لا بد أنه اعتاد أن يرى النساء تحوم حوله.

حسناً، ليس هنا!

هزّت ليلي رأسها وهي تجيبه بابتسامة حلوة مصطنعة: «ثمة ماكينة عند المدخل، يمكنك أن تشرب منها».

أخذت تحدق في خط يده المتقن النابض بالحياة محاولة أن تتعرف إليه مما كتبه في الأوراق الرسمية. اسمه هانتر، وهو في الثانية والثلاثين من عمره، ويسكن في ضاحية راقية لإحدى المدن. لم يدهشها أي من هذه المعلومات فكل ما فيه ينطق بالثراء الفاحش، بدءاً من تفصيل ملابسه البالغة الأناقة، وصولاً إلى لمعان ساعة معصمه الذهبية مروراً برزمة الأوراق المالية التي سحب منها الخمسين دولاراً.

أما احمرار عينيه الزرقاوين الثلجيتين فجعل ليلي تتساءل عما إذا أمضى

ليالٍ كثيرة في السهر في المدينة.

هانتر مايلز. رغم أنه لم يكتب شهرته في الأوراق الرسمية، إلا أنها تذكرته فجأة. تذكرت هذا الوجه الخطر نوعاً ما. إنه خبير مالي لامع... وإن كان هذا لا يعني أن ليلي تداوم على قراءة الصفحة المالية في الصحف. فهي تتصفحها فقط إذا كانت بجانب زاوية الأبراج.

لكن هانتر مايلز أصبح حبيب سيدات البيوت بزاويته الصغيرة التي يكتبها في المجلات مقدماً نصائح عن الأسهم، نصائح ثبت دوماً أنها من ذهب. وهو يظهر أحياناً على شاشة التلفزيون في وقت الفطور، وبانتظام في الصفحات الاجتماعية لأنه شاب ماجن في عالم المال الرزين. آخر حفلاته الأسطورية كانت السنة الماضية منذ... وقطبت ليلي جبينها لتتذكر، تتذكر حدوث كارثة. حادث ما جعله يتخلى عن أسلوب حياته المثير... ما الذي حصل؟ وتساءلت ليلي عما يرجو من الانتساب إلى جمعية «بدايات جديدة»؟ وحدّقت في الورقة الرسمية، ثم رفعت حاجبيها.

سلام داخلي! هذا ما كتبه.

لا بد أنه يمزح، فقد رأت ابتسامة مصطنعة على شفتيه وهو يكتب... لكنها لاحظت خللاً طفيفاً للغاية في مظهره الرائع فهو يقضم أظافره رغم العناية البالغة بها. وظهر أثناء ضربه على الطاولة وهو يتحدث، أنّ ثمة طاقة قلقة في داخله تناقض ثقته البالغة بنفسه. لعله كان يمزح عندما كتب ذلك لكن لعل السلام الداخلي هو ما ينشده هانتر حقاً.

ابتسمت ليلي وهي تلتفت من حولها في غرفة الاجتماع: «مرحباً بكم جميعاً، لدينا الليلة عضوان جديدان هما أماندا وهانتر. الغرض من اجتماعنا هو المشاركة والتشجيع. ولكن قبل ذلك سنبدأ

بالتعارف».

أصغت ليلي إلى المجتمعين وهم يقدمون أنفسهم ويعبرون عن آمالهم. أصغت إلى ريتشي وهو يتحدث عن أمله في إنشاء علاقة أكثر عمقاً في أهدافها من زواجه الذي تحطم، فيما تحدثت جينتي عن معركتها مع الإدمان وأملها في زيادة قدرتها على التحكم في مشاعرها، حتى وصل الدور إلى أماندا. احمر وجه المرأة إلى حد بالغ ونظرت إلى ركبتيها: «انتهى زواجي حديثاً. ظننت أنني إذا أنقصت وزني فسأتمكن من إنقاذه، لكن ذلك جعل الأمر أسوأ».

سألتها ليلي: «كم فقدت من وزنك؟ إذا لم يكن لديك مانع؟».

- فوق الخمسين كيلو غرام. أعرف أنه ما زال أمامي طريق طويل، لكني أود أن أعود للانخراط في المجتمع مرة أخرى.

فقالت ليلي باسمة: «هذا إنجاز ضخم».

صفق الجميع للمرأة مشجعين ما عدا هانتر. يبدو أن الملل تملكه من هذه الجلسة فنام ما جعل ليلي تتمنى لو ترفسه، قبل أن تعود إلى أماندا: «متى يمكنك أن تصبحي جاهزة للعودة إلى المجتمع مرة أخرى؟ وبأي طريقة؟».

- أحاول أن أحث نفسي على الالتحاق بنادٍ رياضي. أعرف أن عليّ أن أقوم بذلك. ما يمنعني هو السير إلى هناك ودخول النادي حيث ينظر إليّ الجميع.

وأحنت رأسها خجلاً.

دوّنت ليلي ملاحظة في دفترها، بينما تابعت أماندا تقول: «أحب أن أبحث عن وظيفة أيضاً، ومن يعلم؟ ربما يوماً ما...».

وعندما تلاشى صوتها قالت ليلي مشجعة: «تابعي كلامك. أنت هنا بين أصدقاء».

- أحب أن أقيم علاقة جديدة...

كل من في الاجتماع أومأ مشجعاً، مقدماً التهاني لانجازها العظيم. الكل ما عدا هانتر. اتكأ إلى الخلف في الأريكة وهو يتثاءب من دون خجل، فتملك ليلي الغضب. ما الذي يفعله هنا ما دام يرى نفسه مهماً إلى هذا الحد؟ حسناً، سنبحث عن السبب. إذا كان هانتر يعتبر قصته أهم من قصة الآخرين، فقد حان الوقت لسماعها.

هتفت به تلفت انتباهه: «هانتر. ربما عليك أن تقدم نفسك إلى الآخرين، وتشاركنا ببعض ما جاء بك إلى هنا الليلة».

طال الصمت وهو يبادلها التحديق. وتوهج جسدها، وشعرت بالضيق والانزعاج إزاء تحديقه فيها واستراحته بذلك الشكل، فقالت بابتسامة مقتضبة: «كتبت أنك ترجو أن تحصل على السلام الداخلي... وهذا لا يكشف شيئاً يا هانتر... كل من في هذه الغرفة يرجو أن يحصل على ذلك هو أيضاً».

- حتى المرشدة؟

كان في صوته وقاحة فاضحة، لكن ليلي صممت على ألاّ تدع وجهها يحمّر، وابتدأ غضبها يتصاعد وهي تراه يسخر، بشكل ما، من هذه الجلسة.

- نعم، يا هانتر. حتى المرشدة.

وضاقت عيناها ولكن ابتسامتها بقيت. كانت قد صممت ألاّ تحكم عليه حتى تسمع قصته لكن سنوات العمل مع الناس منحتها قدرة استشعار كبيرة للغاية. شعرت أن هذا الرجل حضر إلى هنا بادعاء كاذب وهو ليس مهتماً مثقال ذرة بالانضمام إلى هذه المجموعة. إنه مستعد للجلوس هنا والاستماع إلى الآخرين وهم يفصحون عن أعمق أفكارهم من دون أن يفصح هو عما في داخله. كانت تعرف عن الخجل، وعن الناس الذين يحتاجون بعض الوقت لكي يتمكنوا من الانفتاح على الآخرين، لكن هانتر لم يظهر توتر الأعصاب المعتاد. وتابعت تقول:

«معظم الناس يأتون إلى جمعية كهذه لسبب ما... إما بعد حدث جليل في حياتهم أرغمهم على إعادة تقويم أهدافهم، وإما لأنهم أدركوا أن ثمة ما ينقصهم في حياتهم».

- هذا صحيح.

- هل أنت سعيد في عملك يا هانتر؟

- في الواقع ليس لدي الوقت للتفكير في ذلك.

- هل تحرص على أن تخصص بعض الوقت لا تفكر فيه بالعمل؟

- أنا لا أفكر في العمل حين أكون في الفراش.

ومنحها ابتسامة ذات معنى مبطن، فشعرت بأن وجهها ابتدأ بالاحمرار. هذا الرجل لا يمكن تقويمه. لكنه تمالك نفسه قليلاً وأخذ يخاطب المجتمعين، من دون أن يفصح الكثير عن نفسه: «لعلكم تعلمون أن خبرتي الرئيسية هي في المستقبل، رغم أن لدي بعض الاهتمامات الأخرى».

فقالت جينتي بصوت خافت وهي تحملق فيه بإعجاب: «أنت سمسار في البورصة!».

فتدخلت ليلي وهي تكتم ابتسامة بعد أن رأت جينتي تحط من شأنه سهواً: «هانتر مستشار في البورصة. هل أنا على صواب؟».

أومأ بشكل مهذب.

- ماذا عن علاقاتك الشخصية؟

- وماذا عنها؟

حيست أنفاسها منزعجة. إنه يعبث بهم جميعاً، وهي لن تسمح بذلك. نظرت من حولها إلى وجوه زبائنها المتلهفة، وأدركت أن عليها أن تحميها. وضعت أمامها اللوحة التي تسند إليها الأوراق الرسمية. لم تكن تبتسم، وبدت عيناها الخضراوان جادتين وهي تواجهه وقد فتحت فمها لتتكلم... لتخبره بما لم تقله لزبون من قبل... وهو أن

وقتهم في هذه الجمعية، «البدايات الجديدة»، على وشك أن ينتهي... الآن!

لقد تمادى وأثار أعصابها بسهولة. وهانتر الذي يفهم النساء أدرك أن هذه السيدة غير سعيدة. وهي سيدة حقيقية محترمة، من رأسها المتوج بشعرها الأشقر، حتى أصابع قدميها المصبوغة الأظافر مروراً بقوامها الأنيق والمثير. كان جمالها ورشاقتها طبيعيين من دون جهد أو تصنّع. ومنحها ابتسامة لكنها فشلت في التأثير فيها، فقد ضاقت عيناها اللوزيتان الخضراوان وانفرجت شفتاها المتوترتان، فأدرك، ولأول مرة، أن الغزل لن ينقذه. أوشك أن يضيف تعليقاً وقحاً آخر، بعد أن تملكه الفضول ليرى رد فعلها، لكنه تمالك نفسه عندما تذكر سبب وجوده هناك.

إيما!

وتوترت معدته. الشعور بالذنب الذي تملكه مؤخراً زاد من شعوره بعدم الارتياح وهو يتذكر وجه إيما الشاحب القلق حين طلبت منه أن يزور جمعية (بدايات جديدة) من أجلها. ولهذا السبب فقط رضي بالمجيء إلى هنا.

- في الواقع، انفصلت للتوّ عن رفيقتي.

أسكتت كلمات هانتر النادمة هذه، كلماتها الحادة. لقد مثل دور العطوف بشكل ممتاز واسترعى انتباه الموجودين وهو يقول: «كنا على وشك إعلان خطبتنا، حتى أنها اختارت الخاتم».

- آسفة لسماع هذا.

أدهشها اعترافه هذا وعادت تتوجه إلى الحاضرين وهي واثقة تماماً من أنها على وشك أن تسمع جواباً ذكياً آخر. كانت واثقة من أنه لن يكشف شيئاً عن نفسه.

لكنها تخلّت عن شكوكها، وعادت تفكّر بطريقة عملية: «كم دامت

علاقتكما؟»

تأملته وهو ينظر إليها جانبياً، محاولة عبثاً ألاّ تلاحظ مدى روعته وهو يفعل ذلك. وقال: «اثنان... بل ربما ثلاثة...».

وخفت صوته فحاولت أن تساعده بشهامة. وقالت: «ربما لا تبدو السنتين فترة طويلة بالنسبة إلى بعض الموجودين».

وابتسمت لريتشي الذي انتهى زواجه بعد عشر سنوات، وتابعت تقول: «على أيّ حال، إن كانت علاقة هانتر تحسب بالسنوات وليس بعشرات السنين فهذا لا يعني...».

فقاطعها هانتر: «ليس بالسنوات. لقد بقينا معاً شهرين».

ساد صمت طويل تأملت ليلي أثناءه زبائنها، محاولة أن تتصور كيف تدمج هانتر بينهم.. كيف تمنح هذا الرجل الذي لا يطاق فرصة. فقالت: «قد يكون انتهاء علاقة جديدة مهلكاً.. فتدفق المشاعر المشبوبة والاندفاع العاطفي في الأسابيع الأولى قد يتسببان بجرح مؤلم للغاية عند انتهاء العلاقة، أليس هذا صحيحاً؟».

- أظن ذلك. فقد كاد البكاء يعمي آيبغايل.

اعترف هانتر بذلك فتملك ليلي الارتياح وعادت تقول: «هذا إلى الشعور الساحق بالخسارة».

فأومأ قائلاً: «حسناً... بدا الضيق البالغ على آيبغايل».

- من منكما قطع هذه العلاقة؟

أجاب وهو ينظر إليها مجفلاً: «أنا».

- وما الذي جعلك تقطع العلاقة؟

قطب جبينه وكأنه يفكر في الجواب فيما حيست ليلي أنفاسها. وأخيراً أجاب: «مللت منها. أعني، إنها رائعة الشكل، وكذلك في السرير، لكنني شعرت بالملل منها، هذا ما أشعر به دوماً في النهاية».

فسألته ملتزمة بالتدريب الذي تلقته رغم لهفتها لأن تصفعه: «هل

www.liilas.com

المرأة نفسها هي التي تشعرك بالملل، أم التفكير في أنك تكتفي بامرأة واحدة؟».

- لم أفكر في هذا الأمر قط.

وهز كتفيه وقد سئم من الموضوع، لكن ليلي أومأت برأسها باسمة: «حسناً، نهاية العلاقة هي دوماً فرصة كي يكتشف الشخص مشاعره، وينظر إلى حاجاته ورغباته المبكوتة. إنها فرصة كي يعرف ما هو بحاجة إليه فعلاً، ليس من الرفيق فقط بل من نفسه. ما هي العلاقة المثلى في نظرك، يا هانتر؟».

بدا عليه الانزعاج: «كما سبق وقلت لم أفكر قط في هذا الأمر».

- حسناً، لديك الفرصة لتفعل هذا الآن!

حدّق فيها طويلاً فرأت ليلي أن اسمه، وهو يعني (صياد) بالانكليزية، مناسب جداً له لأنه يبدو فعلاً كصياد يختار فريسته بعناية ثم ينقض عليها فلهاتين العينين الزرقاوين تأثير المغناطيس عليها، واقشعرّ جسمها فعلاً عندما أطال النظر إليها.

- أحب أن أستيقظ في الصباح وبجانبي امرأة، فأسمع ما لديها لتقوله. امرأة تحب وتهتم بجانبها الأنثوي لكن رجولتي لا ترهبها. أظن أن ما أريده حقاً هو...

وسكت، فقالت بصوت أجش: «تابع كلامك».

وتوهّج وجهها فجأة لصور غير مناسبة تراءت لها... رجولته، وسامته، ملامحه، كل هذا كان مثيراً للغاية. وحاولت أن تكون موضوعية فتركز على ما يقوله عن رغباته وحاجاته، ولكن هذا بدا مستحيلاً.

- ... امرأة تلائمني رغم أنها لن تكون نصفي الآخر المثالي.

- هذا رأي ذكي للغاية.

ومررت لسانها على شفتيها، مبعدة عينيها عن عينيه لتخاطب

المجتمعين: «لدى هانتر رأي سليم جداً. المساواة في العلاقة بالغة الأهمية، إذ يقدّر كل رفيق مساهمة الآخر ويحترم فرديته. على أيّ حال، غالباً ما أسمع الناس يقولون إنهم يريدون علاقة وكأن فيها الخلاص من مشاكلهم كلها. العلاقة التي عليك أن ترعاها هي تلك التي بينك وبين ذاتك. أعتقد أن عشق الذات هو الأجدر بالأولوية».

فقاطعها هانتر: «ليس لديّ مشكلة مع ذلك. ولكني أفضل العلاقة الحقيقية!».

التفتت ليلي إليه، ولم تكن الوحيدة في ذلك. فالكل نظر بدهشة إلى هانتر الذي لم يبد عليه أي خجل أو ارتباك.

تنحنحت ليلي: «أعني بكلامي ذاك احترام النفس. أحب نفسك واعرف وجهة نظرك، ومدى ارتياحك إلى من تعاشر. عندما تحقق ذلك، يمكنك أن ترتبط بعلاقة حيث يكون الطرفان متلائمين».

- آه، ذاك!

عندما انتهى الكل من التعارف، غلب النعاس هانتر فانحنى رأسه قليلاً وأغمض عينيه. قررت ليلي ألا توقظه بل أنّ تدعه يتخلص من أي إرهاق يعانيه. واستمر الاجتماع وحاولت أن تركز اهتمامها على زبائنها، فقررت أن تصغي بانتباه إلى جينتي التي تتحدث عن رغبتها في البقاء رزينة رصينة، والبحث عن رفيق جديد، كما تحدث ريتشي بخجل عن أول موعد له بعد عشر سنوات، ولكنها شعرت بالحيرة والذهول، وعيناها تتحولان إليه باستمرار. حتى في نومه كان يسبب لها عدم الاستقرار، حتى في هدوئه قاطع مجرى أفكارها كلما تحرك.

ما الذي يفعله هنا؟

www.liilas.com

٢ - رجل مثير للفضول

- هانتر!

لم يأتِ النداء الثالث والأخير بأي نتيجة. كل الكراسي أزيحت من أماكنها محدثة ضجة، ومع ذلك لم يستيقظ.

وخطر لليلي للحظة أن ترحل بعد أن تغطيه بسترته فتجعل المنظفين يعثرون عليه في الصباح، لكن النزاهة تغلبت عليها. وأخيراً، مدّت يدها مترددة وهزت كتفه، شاعرة بعضلاته القوية تحت أصابعها.

- هانتر. انتهى الاجتماع منذ ربع ساعة.

- أحقاً؟

وتمطى بكسل ثم تثاءب، مستنفداً صبرها. ووقف متراخياً وجال بنظراته في أنحاء الغرفة حتى رأى سترته فارتداها بحركات غير ثابتة.

- هل من قهوة؟

- لقد أخذوا إناء القهوة.

وقطبت جبينها. قد يكون وسيماً جداً لكن هاتين العينين المذهلتين لا تستطيعان التركيز. وسألته: «هل أنت قادر على قيادة السيارة؟ إذا أسرفت في الشراب، فمن الأفضل أن تستدعي سيارة أجرة».

- أنا لا أشرب.

- على الإطلاق؟

- جربته مرة فلم يعجبني.

- يبدو أنك...

وابتلعت ريقها بتوتر. ما دام لم يشرب، فلا بد أنه تناول شيئاً آخر إذ راح يتمايل في مشيته وهو يسير.

- إذا ما تناولت شيئاً ما فعليك أن تفكر في...

- أنا لا أتعاطى المخدرات.

ورآها تقطب جبينها بقلق فابتسم: «ما عدا إسرافي في شرب القهوة، أنا بأحسن حال. إنني أعاني فقط من آثار رحلة طويلة بالطائرة».

- رحلة بالطائرة؟

- وصلت هذا الصباح من الولايات المتحدة. أم لعل هذا كان بالأمس؟

ونظر إلى ساعته: «ما زالت بتوقيت أمس».

سألته وقد تملكها القلق: «ألم تنم منذ ذلك الحين؟».

وشعرت بشيء من الذنب لافتراضاتها السابقة فلديه كل الحق في أن يبدو بهذه الحالة من الوهن.

أشار إلى الغرفة التي غادراها: «لا تقلقي، ستتحسن حالتي. أخبريني، هل تعتقدين حقاً أنك إذا ركّزت على مسألة ما فيمكنك أن تجعليها تتحقق؟».

قالت بحذر، متسائلة إلى أين سيقودها هذا الحديث: «نعم، طبعاً».

وأدركت أنه استوعب منها أكثر مما تظن، حتى وإن بدا نعساً.

- وتعتقدين أن بإمكان أي شخص أن يحسّن وضعه؟

أجابت على الفور: «طبعاً، إلاّ إذا كنت كامل الأوصاف».

ملاحظتها التهكمية جعلته يبتسم ابتسامة كسولة. وقال: «أنا بعيد عن الكمال. أنا لا أستيقظ في الصباح وأقبّل المرآة محدثاً نفسي بأنني رائع وأستحق كل ما لديّ».

شبكة ليلاس الإسلامية
Lilas.com

كان يمازحها. وأدركت أنه كان يصغي إلى كل ما دار من أحاديث.

- أنا لا أقبّل المرآة، لكنني أشجع نفسي على أن أكون إيجابية.

- حتى يأتي الحب الحقيقي.

ورفع حاجبيه ساخراً، لكن ليلي حدّقت فيه مباشرة وهزت رأسها: «ليس لديك فكرة عما أظنه يا هانتر. إنني أدعو إلى حب الذات لأنني أعتقد بأن العلاقة الوحيدة التي يمكنك أن تعتمد عليها حقاً، هي علاقتك مع نفسك. الكثيرون لا يريدون سماع ذلك ولهذا لا أقوله. أنا أرجو أن أصل بهم إلى حالة يكونون فيها واثقين وسعداء في حياتهم، والبقية تعود إليهم».

أدركت أنه لم يستوعب تماماً ما تقوله. إذ ضاقت عيناه قليلاً، وأخبرته عندئذٍ الحقيقة التي تؤمن بها. كشفت له عن رأيها وهو أنها لا تؤمن بالحب.

- أحقاً؟

- نعم، حقاً... إنني أؤمن بالرغبة. أؤمن بالشاعرية. أؤمن بالاحترام المتبادل. لكنني لا أؤمن بأن هناك حباً واحداً لكل شخص... حباً واحداً يدوم الحياة كلها.

واعتبرت ليلي أن الحديث انتهى فاستدارت لتخرج من الباب، لكن هانتر تباطأ وقد اختفت النبرة الساخرة من صوته وهو يسألها: «ماذا عن شخص يعاني من نوع من العجز؟ أعني، فلنفترض مثلاً، أن شخصاً قيل له إنه لن يستطيع السير على قدميه مرة أخرى... أتقولين له إنه إذا ركّز ورغب في ذلك بشدة...؟».

قالت بلطف، تنهي الحديث وهي تشعر لأول مرة باضطراب حقيقي خلف كلماته: «أنا لا أقدّم المعجزات يا هانتر».

وتساءلت عما إذا كانت على وشك أن تعرف السبب الذي أتى بهانتر إلى هنا الليلة. وقالت: «إذا ركّز الرجل الذي أخبره الأطباء أنه

لن يستطيع المشي مرة أخرى على أن يثبت أن الأطباء مخطئون، فسيفقد الكثير من الفرص. ربما من الأفضل أن ينفق طاقته على هدف مختلف».

- أتعنين الاستسلام؟

- أفضّل أن أسمّي ذلك (القبول بالواقع).

- أظنك تكسبين معيشتك من هذا.

لم يزعجها جوابه هذه المرة لأنها أدركت أن غضبه ليس موجهاً نحوها.

- لكن من الذي نتحدث عنه هنا يا هانتر؟

فقال بابتسامة سريعة: «لا أحد. إنه مجرد سؤال افتراضي».

كان الحديث قد انتهى بالنسبة إلى هانتر. ومدّ يده إليها بسترته الباهظة الثمن لروعة صوفها ودقة حياكتها وسألها: «أتريدين أن تستعيري سترتي؟».

- سترتك؟

- المطر يهطل في الخارج بغزارة.

لم يكن هانتر بحاجة لأن يشير إلى ذلك فهما يكادان لا يسمعان بعضهما البعض بسبب صوت المطر على السطح. وأجابت: «سأكون على ما يرام».

ابتسمت في سرّها وهي تتصور نفسها تستخدم مثل هذه السترة الفاخرة الرائعة كمظلة مؤقتة وتملكها الأسف وهي تفكر في أنها لن تراه مجدداً.. فمهما قدم له أفراد جمعيتها فهو لا يحتاجه. وتملّكها الفضول لتعرف سبب قدومه إلى هنا. إنه يخدعها، فهو واثق من نفسه، ويخطف الأنفاس بتصلبه وعناده، ومع ذلك بدا أحياناً غاية في الرقة واللطف.

وألحّ عليها: «خذيها».

كانت يده ثابتة وهو يقدمها لها وعلى ملامحه شبه ابتسامة غير

عادية. لكن عندما رفعت يدها لتأخذها منه، تغيّر الوضع. وفي تلك اللحظة، عرفت أن هانتر قدّم لها أكثر من مجرد سترة. عرفت من الطريقة التي كان ينظر بها إليها، أن ما بدا لها كلفتة بسيطة حمل دلالات الخطر، وأن خروجها معه إلى ظلام الليل أشبه بخروجها مع الشيطان نفسه. انتبهت إلى أنهما الآن وحيدان. وتراءت لها صور لكنها حدّثت نفسها بأنها مخبولة، وأن رد فعلها مبالغ فيه. حاولت أن تتحكم في نفسها وأن تطرد من ذهنها هذه الأفكار المضحكة.

- ليلي؟

سألها برقة عن سبب ترددها لكنها لم تستطع أن تجيب. كان ينضح بالإثارة والجاذبية اللتين التفّتا حولها كضباب ثقيل أخذ يتسرب إلى ما تحت ملابسها، ولحمها، وذهنها.

استطاعت أن تشتم رائحة الرجولة الطبيعية منه ما جعلها تشعر بالدوار والاضطراب وبشيء من الخوف.

قالت بحدة ومن دون تهذيب إذ رأت أنّ سؤاله الصامت لا يستحق رداً مهذباً: «كلا!».

فهز كتفيه: «كما تشائين».

وكان هذا هو الرأي الصواب.

نظرت إليه وهو يخرج ليتوارى في الظلام ثم رفعت يداً مرتجفة إلى شعرها. ونظرت في أنحاء الغرفة وهي تطرف بعينيها لترى كل ما فيها طبيعياً. توقّعت أن ترى النوافذ محطمة، والكراسي والطاولات منقلبة، ليكون في ذلك برهان على الزلزال الذي حدث لتوّه.

ما الذي حدث هنا بحق الجحيم؟ وحاولت أن تفهم، فيما تنفسها لا يزال قصيراً غير منتظم، وقلبها يخفق بسرعة، وحواسها غاية في الانتباه واليقظة وكأنها طردت لتوّها دخيلاً. لقد قدّم لها سترة ليس إلّا ومع ذلك شعرت وكأنهما كانا يتعانقان، بل أكثر من ذلك... شعرت

وكأنه رأى وأحس بما في داخلها.

أطفأت الأنوار ثم خرجت إلى حيث كان المطر ينهمر بشدة. في الحقيقة، كانت شاكرة لهذا المطر والريح، مرحبة بهما بعد تلك المواجهة الحامية. أقفلت الأبواب خلفها ثم اندفعت بشكل جنوني إلى موقف السيارات وقد التصقت بذلتها بجسمها المبتل، وسقط شعرها المرفوع وهي تفتح باب سيارتها وتقفز إلى الداخل مرتجفة، حالمة بحوض الماء الساخن في حمامها يريحها من توترها. هذا النهار...

لكنه لم ينته بعد.

النهار الذي ابتدأ بذلك الشكل السيء بعد اتصال من المصرف عن رهن المنزل تحوّل إلى كارثة عندما أصدر المحرك صوتاً غريباً أخذ يزداد ارتفاعاً كلما أدارت مفتاحها بانفعال وذعر.

لم تكن ليلي تعرف عن ميكانيك السيارات حتى كيف تجد مقبض غطاء المحرك. لكنها أدركت أنّ الصوت يعني أن الرحلة الوحيدة التي ستقوم بها سيارتها الليلة هي على ظهر شاحنة المرآب.

فُتح باب المقعد الذي بجانبها فجأة فتملكها الذعر... كانت تظن أنّ موقف السيارات خالٍ. ولم تعرف ما إذا كانت المطر والريح هي التي جعلتها تحبس أنفاسها أم منظر هنتر الرائع، والمخيب نوعاً ما، وهو يصعد إلى السيارة ليجلس بقربها.

قالت: «معظم الناس يقرعون زجاج النافذة.

فأجاب: «أنا لست كأغلب الناس. أثمة مشكلة؟».

تشوّش ذهنها وتملكها توتر بالغ، لكن ليس من أجل سلامتها، فهي لم تجد أي خطر يهدد سلامتها من ناحيته، ما جعلها تطمئن إليه. توترها وحذرها البالغان يعودان إلى شعورها بالخطر الذي يثيره وجوده.

- هل تعرف أي شيء عن السيارات؟

- أحب السيارات الفضية.

وابتسم بجفاء عندما صرفت بأسنانها، وتابع: «أظن أنّ بإمكاني أن أقوم بدور الميكانيكي بينما تقفلين أنت غطاء المحرك ثم تقفين وتحدقين فيّ متأملة للحظات... هل ترتدين جوارب من النيلون؟».

- ماذا؟ وما علاقة هذا بعطل السيارة؟

- أظنني رأيت هذا في فيلم... أم تُراني قرأته؟

وقطّب جبينه: «على أيّ حال، ليس لديّ فكرة عما عليّ أن أفعله حتى ولو كنت تلبسين جوارب... ليس لديّ فكرة عن السيارات».

ابتسمت بتوتر: «حسناً، شكراً على مساعدتك لي».

- أنا لم أساعدك بعد. لِمَ لا أوصلك إلى بيتك بسيارتي؟ يمكنك أن تتدبري أمر سيارتك في الصباح.

فقالت وهي تخرج هاتفها الخلوي: «سأكون على ما يرام. سأتصل بالمرآب لينقل سيارتي ويصلحها».

- قد يتأخرون لأن السيارات تتعطل وتصطدم ببعضها البعض في كل مكان الليلة.

- لا بأس فأنا امرأة صبورة.

وبالرغم من رفضها عرضه، لم يذهب. حتى أنه لم يفسح لها مجالاً عندما مالت نحوه وفتحت الصندوق الذي أمامه لتأخذ الدليل. أخذ ينقر بأصابعه على ساقه بينما طلبت هي الرقم. وبعد أن انتظرت طويلاً، تخلّت عن محاولتها واتصلت تطلب سيارة أجرة.

- ألم توفقي؟

- وضعوني على قائمة الانتظار.

وهذا يعني أنها ستنتظر لفترة. أخذت تحدق في ظلام الليل حيث المطر ينهمر بقوة ويضرب زجاج السيارة كالسوط. لم يكن الخلاص متوقعاً قبل ساعتين على الأقل. وقررت أن تقبل إذا عرض عليها مرة

أخرى أن يوصلها إلى بيتها.

على أيّ حال، كانت قلقة من قيادته للسيارة... أما الآن فستقدّم له كوب قهوة قبل أن يعود إلى بيته.

انتظرت ما توقعته، سعيدة بقرارها هذا، لكنها عادت فعبست عندما فتح هانتر الباب بجانبه قائلاً: «حسناً، حظاً سعيداً. أرجو ألّا تنتظري طويلاً».

تباً له! لعنته في سرها وهو ينزل من السيارة رغم أنها ما زالت واثقة من أنه يغيظها فقط، وواثقة من أنه سيعرض عليها أن يوصلها مرة أخرى.

بدا واضحاً أنه لم يكن يمزح. نظرت إليه، وهو يتوجه إلى سيارته بمظهره الرائع، فأدركت أنها إذا لم تفعل شيئاً، فستبقى هنا دهوراً. أدركت أنه ترك لها الخطوة التالية.

رجل مثل هانتر لا يكرر عرضه مرتين.

وبعد أن ألقت مفاتيحها وهاتفها في حقيبة يدها، وفتحت باب السيارة، لتندفع إلى سيارته الفارهة الفضية اللون، أدركت أن القرار الذي اتخذته، ورغم أنه يبدو معقولاً في ظاهره، إلّا أنه أكثر القرارات خطورة وعدم عقلانية. لكنها، ومع ذلك، أرادت أن تذهب معه، وابتهجت لتدخّل القدر كي يطيل فترة لقائها مع هذا الرجل الذي لا ينسى.

ضوء مصابيحه الأمامية كشفها في الظلام. وجمدت ليلي لحظة وهي ترمش بجفنيها وقد بللها المطر. يمكنها أن تتصور الابتسامة الظافرة على ذلك الوجه الوسيم فهو رجل يحب السيطرة.

وخلافاً لهانتر الذي صعد إلى سيارتها بوقاحة، حاولت أن تطرق نافذته مستأذنة، لكنه كان قد فتح لها الباب وكأنه ينتظرها. كان شعره أشعث مبللاً فوق جبهته، والموسيقى تتعالى في سيارته، ويداه

ممسكتين بعجلة القيادة المغطاة بالجلد. لم تركب قط سيارة تماثلها جاذبية وخطورة.

- إذا كنت لا تزال مصمماً على عرضك.

كانت أسنانها تصطك لكن لم تكن حالة الطقس هي السبب. فعلى الرغم من غزارة المطر، بقي الجوّ دافئاً. لكن الرجفة في جسدها لها علاقة بعينيه اللتين أخذتا تحومان فوقها بتكاسل قبل أن تشتبكا بعينيها، ما أرغمها على أن تقول له بصراحة: «أتمنى لو توصلني إلى بيتي».

- بكل تأكيد.

وبإيماءة خفيفة للغاية، أشار إلى المقعد بجانبه فاندفعت لتصعد إليه شاعرة بجلد المقعد الناعم على ساقيها المبللتين. كان الدفء في السيارة خانقاً، والموسيقى عالية، ورائحته المثيرة أقوى من العادة في هذه المساحة المترفة والمحدودة. واضطربت حواسها بعد أن ثارت في داخلها المشاعر المختلفة وهي تدخل بسرعة عالم هذا الرجل المثير للفضول.

٣ - لا للوحدة!

كان هانتر قد أخفض صوت الموسيقى عندما أعطته عنوانها، فشعرت ليلي أن عليها أن تملأ الصمت المريك الذي تلا ذلك.

- آسفة إذا كان طريق منزلي سيجعلك تحيد عن طريقك.

- لا بأس.

- هذا لطف بالغ منك حقاً...

وسكتت، فلم يحاول أن يملأ السكون المؤلم هذا. لم يحاول أن يقول شيئاً. وعرفت أنّ مكان إقامته ليس بعيداً عن طريقه من الورقة الرسمية التي ملأها. لكن لو لم يقلّها، لسلك دون شك الطريق السريع ليصل إلى حيث يقيم. لكنه، وبدلاً من ذلك، قاد سيارته بمهارة على الطرق المبللة وسلك طريق الشاطىء الأطول والأجمل، الذي سيوصلهما إلى شقتها بجانب الخليج.

كان المنظر رائعاً. ونظرت ليلي من النافذة إلى مياه الخليج السوداء كالحبر والقمر المغطى بالغيوم، وطعنات البرق الغاضبة التي تضيء الخليج، والمراكب الراسية التي تهزها العاصفة، والأمواج التي تكتسح الأرصفة بينما سيارته تلتهم المسافة بصمت.

لكن التوتر في الخارج لم يكن ليقارن بالطاقة داخل السيارة. كان الصمت يصم الآذان، وملايين الأسئلة تتأرجح من دون صوت بينهما. لم يحدث من قبل أن سرّها الوصول إلى شقتها إلى هذا الحد.

كانت فكرة العودة إلى حياتها العادية تهدّئ أعصابها إذ تمثل نهاية

شبكة ليلاس الثقافية
www.liilas.com

هذه المواجهة الغريبة. وأشارت إليه ليلي بالتوقف: «هنا أسكن».

- أين تركنين سيارتك؟

بدا هذا سؤالاً طبيعياً لولا أنه لم يكن كذلك. لعله يتوقع منها أن تعرض عليه شراباً. وسلك طريق المنزل الخاصة بينما أخذت عيناه تبحثان عن موقفها الخاص. وعندما توجه إليه وأوقف السيارة وأطفأ الأنوار والمحرّك، مفترضاً أنها ستدعوه للدخول، شعرت وكأنه يغزو بيتها منتهكاً حرمته.

- يمكنني أن أشرب إبريقاً كاملاً من القهوة.

ومنحها ابتسامة رائعة عندما أومأت متوترة. فيما تصلب جسدها كله عندما تبعها إلى المدخل. حتى المهمات العادية، كالمشي، تصبح صعبة أحياناً خصوصاً وقدماها تنزلقان داخل «الصندل» المبتل. كانت واعية إلى ملابسها المبتلة والملتصقة بجسدها وهو يسير بجانبها بشكل عفوي. وعندما فتحت الباب، خفقت بأهدابها إزاء الفوضى المعتادة في شقتها، وكأن عليها أن تعدّ نفسها بنفسها لاستقبالها، مدركة بشكل ما، من سيعود معها الليلة.

كان صحنها وفنجان القهوة لا يزالان على الطاولة، وملابسها موضوعة على ظهر الأريكة، والمجلات والصحف ملقاة بإهمال بجانب أوراق المصرف.

قالت وهي تسير إلى المطبخ آملة أن يتبعها: «أرجو المعذرة لهذه الفوضى».

لكن هانتر توجّه إلى الأريكة حيث جلس ومدّ ساقيه الطويلتين من دون أن يلحظ كما يبدو ملابسها التي أصبحت على بعد إنشات من خدّه.

نظر إليها بسرعة: «شقة جيدة».

- إنها كذلك عندما تكون منظمة.

- إنها تعجبني بهذا الشكل.

وأراد أن يعود إلى تصفّح المجلة التي اختارها لكنه غيّر رأيه ليقول: «لديّ، عادة، صورة أفضل عن حياة المرأة».

- عفواً؟

- منظمة للغاية، زهور طبيعية في زهرية، كتب ثقافية راقية على الطاولة...

قهقهت ليلي بصوت خافت وهي تسمعه يصف ما كانت شقتها لتبدو به لو علمت بقدومه بينما تابع: «أفضّل شخصيتك الحقيقية».

ونظر في عينيها فترة أطول مما ينبغي فشعرت باحمرار وجهها تحت نظراته المتفحصة. مديحه الفظ لها أثار أعصابها. أرادت أن تستبدل ملابسها بشيء دافئ، ومع ذلك لم تستطع أن تتصور نفسها تدخل غرفة النوم في وجوده هنا.

ولحسن الحظ حوّل عينيه عنها وعاد إلى المجلة وهو يقول من دون أن ينظر إليها وكأنها ناولة: «ثلاث ملاعق من السكر من فضلك وكثير من القشدة».

فتمتمت وهي تتوجه إلى المطبخ حيث وضعت إبريق القهوة على النار لتعدّ فنجاناً واحداً: «ستكون محظوظاً لو وجدت حليباً عندي».

قهوة سريعة ثم يخرج من هنا. هذا ما خطر لها وهي تضع ملعقة قهوة في الفنجان بيدين مرتجفتين. لعل سلوكه منضبط تماماً منذ وضع قدميه في الشقة، فهو يجلس على أريكتها، يقرأ بهدوء، مسروراً بالفوضى التي تسود الشقة، حتى أنه قال (من فضلك) وهو يطلب قهوته التي تثير الغثيان بحلاوتها، لكنها تشعر وكأن حيواناً متوحشاً موجود في غرفة استقبالها. إنه فهد أسود ناعم رائع الجمال ومع ذلك خطر، مطلق العنان وغير مروّض. وهو لا يبعد عنها أكثر من بضعة أقدام.

لا تطعمي الحيوانات!

حدّقت في غرفة المؤونة الخالية تقريباً، وابتسمت ساخرة. لا يمكنها ذلك حتى لو شاءت. أخذت نفساً مهدئاً، ثم سارت إلى غرفة الجلوس. لكن أي محاولة لضبط النفس تلاشت وهي ترى هانتر جالساً على الأريكة يقرأ بهدوء أوراقها المالية. ولم يكد يرفع إليها بصره وهو يعرض عليها رأيه غير المرغوب فيه: «لا يمكنك أن تتحملي ذلك».

- ماذا تفعل بحق جهنم؟

كانت ترتجف غضباً، لكنها استطاعت أن تضع الشراب على الطاولة سالماً قبل أن تنتزع الأوراق من يده وهي تتابع: «أنت تقرأ مستندات الآخرين الخاصة!».

- لماذا لا؟ ما من طريقة أسرع من هذه لمعرفة الشخص. أخبريني يا ليلي عما يجعلك تقومين برهن ضخم كهذا!

- هذا ليس من شأنك.

- بالعكس. المال هو شأني.

فانفجرت غاضبة: «آه، هذا صحيح لأنك تعمل في سوق الأسهم، لأن صورتك ظهرت في بعض المجلات، ولأنك ظهرت في التليفزيون. لهذا تظن أن بإمكانك أن تدس أنفك في شؤون الآخرين الخاصة».

فقال بهدوء يتناقض تماماً مع هياجها: «أنا لا أعمل في سوق الأسهم، بل أدير سوق الأسهم. الناس يدفعون الكثير من المال للحصول على رأيي وأنا الآن أعطيك إياه بلا مقابل. لو كنت مكانك لأصغيت إلى هذا».

- لست مضطرة إلى الإصغاء. فأنا أعرف مسبقاً أن هذا يفوق قدرتي. أعرف مقدماً أن المصاريف لن تفرضي المال وأن المنزل...

وفجأة، تراكمت الأمور عليها. توتر الأسابيع الماضية، الإحباط لشعورها بالعجز، بلغا ذروتهما في هذه اللحظة وتعاظمت كل مخاوفها

عندما أخذ هذا الرجل الذي لا يطاق برغمها على مواجهة ما تعرفه. واغرورقت عيناها بالدموع وهي تعود وتعترف بالحقيقة المؤلمة وكأنها تحدث نفسها أكثر مما تحدثه: «سأضطر إلى بيعه».

- بيعه؟ ظننتك تريدين أن تشتري.

وقطّب جبينه وهو يعود فيحدّق في الأوراق: «فهمت. هذا بيت والديك».

كانت أكثر إرهاقاً من أن تشعر بالغضب وهو يعود إلى مراجعة مستنداتها من دون خجل. الاضطراب والقلق اللذان شغلا أفكارها في الأسابيع الأخيرة، عادا يشغلانها الآن. جلست على الأريكة بجانبه واستندت إلى الخلف، ثم أغمضت عينيها فيما عاد هانتر يحقق معها، وقالت تصحح كلامه: «بيت والدتي. لقد مات أبي منذ سنتين».

- إنه إذن باسم أمك وحدها؟ لماذا تريدين أن تشتريه؟

- لأن أمي لا تستطيع الاحتفاظ به، فقد تأخرت في سداد دينها. كانت مصممة على تحويله إلى نزل لكي تتمكن من الاحتفاظ به. لقد ذهبت إلى كوينلاند لتقنع أختها بأن تشاركها في المشروع لكن الأمور أخذت تتفاقم بسرعة. عرفت لتوّي أن المصرف سيقيم مزاداً علنياً خلال أسبوعين إذا لم تحضر المال...

وقال بصوت خالٍ من المشاعر كصوت مدير المصرف والمدينين الذين تعاملت معهم في الأسابيع الماضية: «ولكن إذا لم يكن ذلك في طاقتها، من الأيسر لها أن تتصرف حسب مقدرتها».

وكان هذا القشة التي قصمت ظهر البعير بالنسبة إلى ليلي، فقالت بصوت حاد: «من يقول هذا؟ لقد عاشت في ذلك البيت ثلاثين عاماً. فيه ذكرياتها... حياتها... فكيف تفقده؟».

فقال متهكماً من دون أن يتأثر بمشاعرها: «لأنها لا تملك المال لكي تحتفظ بالبيت. لِمَ هي مدينة بهذا المبلغ الكبير ما دامت قد عاشت

هناك زمناً طويلاً؟».

يا إلهي. إنه صريح للغاية، فلا تمهيد ولا لف أو دوران. كانت شخصيته شخصية رجال أعمال بامتياز: «ألم يكن أبوك مضموناً؟».

- لقد أخذوا رهناً جديداً لعلاج أبي. ولكي يمضي آخر سنة من حياته في الأسفار.

- هذه أنانية نوعاً ما. ألم يكن يدرك المأزق الذي سيتركه لأمك؟

فتحت ليلي فمها مذهولة لما سمعت، مصعوقة لقوله كلاماً كهذا، لكن هانتر بادلها نظراتها ببرودة: «لا تخبريني بأنك لم تفكري في الأمر نفسه».

- ربما...

وأخذت تطرف بجفنيها بسرعة، شاعرة بالغثيان لاعترافها بهذا أمام غريب مثله: «ربما قليلاً. لكنك لا تعرف الظروف، كما أن ليس لك الحق...».

- هذا حسن.

ونظم المستندات بشكل أنيق ثم وضعها على الطاولة قبل أن يرفع فنجان قهوته، تاركاً هذا الموضوع الصعب، كما ترك ليلي للمشاعر التي أثارها فيها. ووقف يستعد للرحيل. رغم أنها لا تريده أن يبقى، إلّا أنها شعرت فجأة بأنها لا تريده أن يذهب. لكنه حين سار مبتعداً بوداعة ظاهرة، رافقته إلى الباب تودعه قائلة: «أشكرك على توصيلي».

- لا بأس، وشكراً على القهوة.

- هل تستطيع القيادة؟

- لماذا تسألين؟ هل أنت قلقة عليّ؟

- أنت من زبائني...

لكنه هزّ رأسه: «كلا».

وبتأنٍ بالغ اعتذر ليخرج. وشعرت بجلدها يقشعر عندما أحست

أنها وقعت في مأزق من نوع آخر، مأزق شخصي.

- أنا لم أحضر إلى جمعيتك من أجل نفسي، بل كنت أتفحص المكان من أجل شخص آخر. لهذا، لست من زبائنكم، وهذا يعني أن ما من سبب يجعلك تقلقين عليّ، على الإطلاق... إلا إذا كنت... تريدين أن...

ونظر إليها بوقاحة.

- لكنك قلت...

- أنا لست تحت العلاج.

حتى كلماته التهكمية وخفقات جفنيه الغامضة كانت مثقلة بتلميحات مخجلة ما جعل رأسها يدور.

- في الواقع، ذهبت إلى هناك لأتأكد من أن الأمور واضحة ولا تنطوي على أيّ خدعة، وذلك من أجل... صديق.

- وهل وجدتها كذلك؟

فأومأ: «تماماً. أشكرك على القهوة، لكن الوقت حان لرحيلي. أشعر بأنني أزعجتك».

- قليلاً. لكن هذه مشكلتي وليست مشكلتك.

سألها وهو ما زال يحدّق فيها بوقاحة: «هل تفعلين ذلك طوال الوقت؟».

واستأثر فمه باهتمامها، شفتان مكتنزتان مثيرتان تكادان لا تتحركان عند الكلام، لكن كلماته كانت ناعمة موزونة وهو يقول: «أعني، هل تحللين كل ما يقوله الآخر؟ كيف يمكن لشخصيتي البغيضة أن تكون مشكلتك؟».

ارتسمت شبه ابتسامة على فمها، وبللت شفتيها بلسانها. بدا الأمر وكأنهما يقرران نوع غزلهما. كان تأثيره فيها مدمراً. وجف فمها وتلعثم صوتها وهي تقول محبوسة الأنفاس: «لـ... لـ... ليس الأمر كـ...

www.liilas.com

كذلك. تحرك مشاعري مسألة تخصني؟».

- حسناً، يسرني أن أتمكّن من أن أثير مشاعرك.

لم تغفل ليلي عن نبرة التهكم في صوته. لم يثر شخص مثل هذه المشاعر في نفسها قط من قبل. وهزّها إدراكها لهذا عقلاً وجسداً، ودار رأسها لهذه المشاعر الجديدة بينما تابع: «أنا آسف إذا جرحت مشاعرك فلدي عقدة التفوق الشنيعة تلك إذ أنا أعلم أنني على صواب دوماً».

وابتسمت رغماً عنها... لكنها كانت تبتسم حقاً. واغتنم لحظة سهوها هذه ومدّ يده يزيح خصلة مبللة من شعرها الأشقر إلى خلف أذنها. بقيت جامدة لكن لمسته جعلتها تشعر وكأن سداً انفجر في مكان ما من جسدها.

قال: «هذه الليلة كانت... سارة بشكل غير متوقع».

- يسرني أنني لم أسبب لك الضجر.

- هذا غير معقول.

وقطب جبينه ساخراً: «هل تسمحين لي بسؤال؟».

فابتسمت بعتب: «ولماذا تطلب أذناً؟».

أحست، بشكل ما، بما سيطلبه منها.

- لِمَ تتخلى فتاة صغيرة وجميلة للغاية مثلك عن طبق من ذهب؟

- لا أفهم.

- بل أظنك تفهمين. لماذا تنظر فتاة مثلك هذه النظرة الساخرة إلى الحياة؟

كان يسمّرها بعينيه وهو يطرح عليها سؤالاً ما كان أكثر الناس ليجرؤ على طرحه عليها.

- نظرة ساخرة.

وابتسمت ليلي وقطبت جبينها في الوقت نفسه. كلمة (ساخرة) هي

آخر كلمة تصف بها نفسها فهي شغوف بحياتها، وأسرتها، وأصدقائها. وهي سعيدة وتؤمن بأن الحياة تقدم دوماً الفرص.

لكن هانتر قال بإصرار: «نعم، ساخرة. كل هذا الحديث عن عدم الإيمان بالحب... ربما عليك ألّا تهاجميه قبل أن تجربيه».

قالت متحدية من دون أن تخفي الألم في صوتها: «جربته مرة فلم يعجبني».

- ماذا حدث؟

- لا أريد الحديث عن ذلك.

- أتكرهين أن تفعلي ذلك بينما تكسبين عيشك من جعل الناس يكشفون عما في أعماقهم؟

- ليس لديّ الكثير ليقال.

- جربيني.

رفعت عينيها إلى عينيه فرأت التحدي فيهما. ورفعت رأسها: «لا بأس، إذن. بقيت مخطوبة مدة سنتين. في الواقع كنا نؤجل الزفاف لكي يتمكن أبي من حضوره».

- وماذا حدث؟

- ساءت حال أبي فجأة. وقبل أن يموت بيومين، وجدت خطيبي الرائع مارك في السرير مع من ظننتها أفضل صديقاتي. هل تكفيك هذه المعلومات؟

لم يجب على تهكمها. ومرة أخرى لم يظهر أي تعاطف معها، كما لم يهتم بألمها بل طرح سؤالاً آخر: «وهكذا أنهيت العلاقة؟».

- لا.

رأت عينيه تضيقان لجوابها هذا، فتابعت وقد ارتجف صوتها: «كنت مشغولة للغاية بالعناية بأمي، وبأمور المستشفى. كانت الأحداث كثيرة من حولي».

www.liilas.com

- ألم تواجهيه قط بما فعل؟

اغرورقت عيناها بالدموع: «أبداً. آخر ما كانت أمي تحتاجه هو مزيد من الحزن. كانت تكن لمارك مودة كبيرة. وعندما مات أبي بدا مارك خطيباً مثالياً أمام العالم أجمع. ليتك رأيته وهو يتسلّم زمام الأمور، متصلاً بالأقارب، منظماً الجنازة، حتى أنه أمسك بيدي أثناء الطقوس الكنسية. ما زلت أسمع الكل يقول كم أنا محظوظة بخطيب مثله... في الواقع، لو لم أرهما معاً بعينيّ لما صدقت أبداً أن بإمكانه أن يخونني. لو لم أعرف ذلك لكنت الآن زوجته، أعيش معه في فردوس زائف».

- أين هو الآن؟

- مع جيني، التي كانت أعزّ صديقة لي يوماً ما. يبدو أن حزني على أبي بلغ حداً أصبت معه، كما يقول مارك، بشيء من الاكتئاب والبرودة الجنسية ما جعله يرحل. وما زالا يصران على أن شيئاً لم يحدث بينهما إلا بعد أشهر من فسخ خطبتنا.

- أنت أفضل حالاً بدونه. لكن طائر سنونو واحداً لا يبشّر بالربيع.

وهزّ كتفيه غير متأثر بقصتها، فسألته: «عفواً؟ لم أفهم».

- إن كان خطيبك السابق نذلاً، فهذا لا يجعل الرجال كلهم كذلك.

- كان هذا كافياً حينذاك.

لكن الاحمرار كسا وجنتيها وأثار تأمله لها أعصابها إذ رفض قبول حكايتها المؤسفة: «هيا، يا ليلي. أنت فتاة عاقلة. العلاقات تفشل لأسباب أقل من هذا بكثير. ربما كنت من التعاسة حينذاك بحيث نفر منك. لا أقول إنه كان محقاً في ما فعل، لكنني واثق من أن بإمكانك أن تري متى بدأت علاقتكما تتخذ منحىً خاطئاً».

- هل أنت دوماً بهذه الحساسية والرقة؟

فأجابها على تهكمها بتهكم مثله: «ليس دوماً. ولكن بما أننا تعارفنا لتوّنا، لم أشأ أن أكون فظاً أكثر مما ينبغي».

توقف عن المزاح وأخذ يتأملها لحظة طويلة ثم قال أخيراً بلهجة جادة: «ماذا حدث لك غير هذا يا ليلي؟».

- لا شيء. أليس هذا كافياً؟

أجابت بسرعة وصوت حاد، فحدق فيها بعينين ضيقتين حتى حوّلت نظراتها بعيداً. كان تأمله مثيراً للأعصاب وكأن نظراته تنفذ إلى أعماقها وأوشكت أن تخبره، لكنه ولحسن الحظ، تحوّل عنها قائلاً وهو يخرج مفاتيح سيارته من جيبه: «حسناً، شكراً مرة أخرى للقهوة».

وتثاءب وهو يتوجه إلى الباب خارجاً من بيتها وربما من حياتها كلها. وتملكها شعور هو مزيج من الألم والحزن، فعضت على شفتها السفلى تكبح دافعاً تملّكها لأن تناديه ليعود، من دون أن تدرك أن هانتر كان هو أيضاً يصارع شياطين تملكته.

لم يشأ أن يذهب إلى بيته.

لم يشأ أن يتصل بإيما ليخبرها عن أمسيته..

لم يشأ أن يسمع صفير الريح ليلاً حول شقته بينما هو وحده. ولعل الأهم هو أنه لم يشأ أن يترك ليلي.

ولم يتملكه هذا الشعور لأنها امرأة رائعة وحسب... ما أكثر وأرخص النساء الجميلات في عالمه! لو أراد الصحبة أو قضاء الرغبة الجنسية، لوجد كثيراً من الراغبات... لكن هذه المرأة الرائعة بالذات هي التي أسرت قلبه.

تعيسة، مرهقة ومبللة بالماء، ومع ذلك ما زالت تمنحه وقتها... وبخلاف الكثير من النساء، لم تكن تتوقع منه شيئاً.

لا شيء!

علّق مفاتيحه بإصبعه وهمّ بالتوجّه إلى سيارته... لكن شيئاً ما

جعله يجمد مكانه.

شعور لم يستطع أن يحدده جعله يتوقف، ثم يدور على عقبيه، ويواجهها.

- يمكنني فعلاً أن أقود... لكنني أفضّل ألّا أفعل.

التقت عيناها بعينيه بعنف... المشاعر التي تطل منهما لم تدع مجالاً للشك. ما يريده بدا واضحاً للغاية. وعندما بادلته النظرات، وقد تسمّرت في مكانها، أخذت تفكر بلهفة في عذر تنجو به من هذا المأزق، في جواب مناسب لهذا العرض غير المناسب أبداً.

احتكاك أصابعه بوجنتها كاد يسبب لها الإغماء. وصدرت عنها شهقة خافتة حين أدناها منه.

ثم عانقها.

لم يعانقها أحد بهذا الشكل من قبل. اندست فيه وإذا برشدها يضيع. ضاع في أحاسيس جسده وشعورها الرائع بشعره تحت أصابعها. كل ما كانت تريده هو أن يدوم هذا العناق إلى الأبد، مع شعورها هذا في هذه اللحظة. لكنها كانت تعلم أن هذا غير ممكن.

أخذت تتلعثم ذاهلة، وقد انحبست أنفاسها: «لا... لا يمـ... يمكننا...».

فقال: «ولماذا لا؟».

حاولت أن تجد جواباً مناسباً، لكن أي عذر تقدمه بينما مشاعرها تصرخ.

قالت: «.. أنا لا أعرف شيئاً عنك».

فأجاب:

- ليلي...؟ لا أريد أن أرحل الآن.

كان في صوته العميق نوع من التوسل وهو يعانقها. وأغمضت هي عينيها.

أخذها بين ذراعيه بعد أن جلسا على الأريكة وأراح ذقنه على قمة رأسها.

وعندئذٍ أدركت شيئاً.

هي أيضاً لم تشأ أن تبقى وحدها.

وصمت طويلاً قبل أن يسألها: «ما هي خطتك لهذا للغدّ؟».

- هممم...

كانت تصغي إليه وقد عادت فأغمضت عينيها، مركزة على المشاعر الرائعة التي أثارتها فكرة أنه لم يرحل وأنها ستمضي مزيداً من الوقت معه. كانت رفقته تسعدها أكثر بكثير من مواجهتها غداً سيارتها المعطلة وهمومها المالية.

وتابع هانتر يقول: «بإمكاننا أن نذهب لنلقي نظرة على منزل أمك».

فقطبت جبينها: «لماذا؟».

- حسناً... ألا تريدين أن تسقي الزهور أو تتفقدي المنزل أو تفعلي شيئاً كهذا؟

- إنه يبعد أكثر من ساعة، في منطقة «التل الأحمر».

وضحكت فقال: «لِمَ لا نذهب إلى أي مكان؟ لم أحصل على عطلة منذ أجيال. سأتصل بأيغايل وأطلب منها أن تنظم الأمر».

- أيغايل صديقتك السابقة؟ هل تعمل عندك؟

- نعم، إنها مساعدتي الخاصة. لماذا؟

- ظننتك قلت إن علاقتكما انتهت؟

- هذا صحيح. ولكن فقط لأن...

وسكت لحظة، ثم عاد يكمل: «ما من سبب يجعلني أفقد سكرتيرة جيدة مثلها لمجرّد أن علاقتنا انتهت. لقد تألمت حينذاك، لكنها اعتادت الأمر الآن».

فقطبت جبينها: «هل أنت واثق؟».

www.liilas.com

- تماماً. كانت تدرك منذ البداية أن علاقتنا لن تدوم. على أيّ حال إنها شغوفة بعملها إلى حد يجعلها لا تتركه لسبب تافه كهذا.

سبب تافه!

اختياره للكلمات أثبت الفكرة التي كوّنتها ليلي عنه. العلاقة، بالنسبة إلى هانتر، هي مجرد حلية رخيصة... تسلية ممتعة لا يخسر من ورائها شيئاً. لكن هانتر لا يستطيع أن يقنعها بأن الأمر مرّ بهذه السهولة بالنسبة إلى أيبغايل.

إنه يسّبب الإدمان.

فمنذ اللحظة التي رأته فيها، لم يعد يهمها سوى البقاء معه، إنه أشبه بكتاب رائع يشغل القارىء ليلة بأكملها، أو علبة شوكولا لذيذة للغاية تتناول منها الحبة تلو الأخرى. رؤيته يومياً، عذاب حقيقي... وهي أدرى بهذا العذاب رغم أنها لم تعرفه منذ فترة بعيدة، قال: «أظن أنه من المفترض أن أراه قبل أن أشتريه».

أيقظتها كلماته من أحلامها بعنف. لكن هانتر لم يكن قد أنهى بعد اقتراحه المضحك هذا: «أظن أنّ علينا أن نتزوج. أنا بحاجة إلى زوجة».

أبهذه البساطة يقول هذا؟ وكأنه يعلق على حالة الجوّ أو يقترح أن يخرجا معاً لتناول الطعام.

قالت ضاحكة: «وأنا أيضاً. وأفضّل من يحب كيّ الملابس وتنظيف المنزل ويعرف كيف أشرب قهوتي».

فقال بعنف: «كلا. إني أفكر جدّياً في ذلك».

فقالت: «وأنا أيضاً. ملعقة سكر واحدة. إنه دورك في تحضيرها».

- ليس قبل أن أحصل على جوابك.

- لا أذكر أنك سألتني.

- أنا جاد، يا ليلي. منذ رأيتك، وأنا أفكر في الأمر ووجدت

أخيراً أن الزواج هو الحل المثالي.

- الحل لماذا؟

- لمشاكلك المالية.

- مشاكلي المالية ليست من شأنك.

- بإمكاني أن أشتري لك منزل أمك.

- وما الذي يجعلك تفعل ذلك؟

- الاستقرار.

لم تكن ليلي تتوقع مثل هذا الجواب على سؤالها. لكن قبل أن تتكلم، عاد يقول: «بعض زبائني من المستثمرين بدأوا يشعرون بالغضب من أسلوب حياتي».

- هذا ليس مستغرباً!

وابتسمت، لكن ابتسامتها بهتت عندما رأته جاداً للغاية وهو يقول: «ليس المستثمرون فقط. إنني أحاول أن أحصل على رعاة كبار لمؤسسة خيرية أؤسسها. وقد قدم إليّ اقتراح بأن أحسّن سلوكي وأقدم صورة أكثر استقراراً».

- وهل الزواج من فتاة عرفتها منذ عدة ساعات سيفي بالغرض؟

- موظفو العلاقات العامة عندي سيهتمون بذلك.

قالت: «بقدر ما سيبدو لك كلامي هذا غريباً لكن هذا الحديث عن الزواج فيه الكثير من التسرّع».

- أنا لا أرى ذلك. وأين التسرّع في طلب الزواج؟ الغريب هو أنها هي التي تسألني عادة عن مستقبلنا.

فقالت وهي تحاول ألّا تجفل: «هي؟».

- أياً كانت.

ثم فجأة قذفها بأخباره الخاصة: «هذا سيسعد شقيقتي».

نظرت إليه غير مصدقة: «منذ متى يتزوج المرء ليسعد شقيقته؟

www.liilas.com

هانتر. . . ظننتك آخر شخص يهتم بما يفكر فيه الآخرون، وآخر من يتزوج لهذا السبب. ما تعرضه عليّ غير مفهوم».

– إنه مفهوم لديّ. إيمّا تريد أن تتقدم في حياتها وهي تتخذ مني عذراً كيلا تقبل عرضاً جيداً للغاية قدم إليها.

وسكت برهة وكأنه يزن الأمر في ذهنه إن كان عليه أن يستمر . . . ويخبرها الحقيقة. استطاعت أن تفهمه. . . أن تشعر به. ومهما كان الاختبار الذي خضعت له، لا بد أنها نجحت، لأن هانتر قال بعد حين: «إنها عازفة كمان موهوبة للغاية. ستقوم بعزف منفرد بعد أسابيع، وقد قُدم لها عرض جيد للغاية من مسرح في لندن. لكنها تقول إنها لن تقبله، وتختلق لذلك أعذاراً شتى، مثل (نحن كل ما بقي من الأسرة، إذا أنا رحلت فلن نرى بعضنا البعض مرة أخرى)».

وضحك مشككاً قبل أن يردف: «حتى أنها مصممة على أن تبقى في ملبورن لتراقبني. إنها، في الواقع، تخترع أي عذر كيلا تسافر».

هزّت ليلي رأسها: «أنت تثير عجبي».

لكنه عاد يشرح لها الوضع: «إيمّا متعقدة. لقد أصيب عمودها الفقري في الحادث الذي أودى بحياة والدينا السنة الماضية».

تكلم بصوت عادي مجرد من العاطفة ما زاد من الرعب الذي تملكها: «يا للفظاعة! يا إلهي، أتذكر أنني قرأت عن ذلك. آسفة، يا هانتر».

– إنه ليس ذنبك لتأسفي.

– ومع ذلك. . .

قالت ورأسها يدور لهول ما حدث ولتهكمه المريك: «هانتر، لا بد أن ذلك كان كابوساً بالنسبة إليك؟».

– حسناً، لم يكن الأمر ساراً للغاية حينذاك لكنه أسوأ بكثير بالنسبة إلى إيمّا.

– أختك؟ هل هي من كنت تتحدث عنه؟

أومأ عابساً: «نعم. لقد عانت كثيراً قبل أن تعتاد حالتها. لكن هذا عرض ضخم وعليها أن تقبله حقاً».

– لعلها ليست مستعدة له.

– بل هي مستعدة. إنها ذكية للغاية، حتى أنها بدأت تصدق أن ما تقوله الصحف عني فيه شيء من الصحة.

وضحك فسألته: «وهل ذلك صحيح؟».

وحبست أنفاسها عندما أظلم وجهه غضباً. وفتح فمه ليجيب لكنه عاد فغيّر رأيه وبدا الجدّ على وجهه بدلاً من الغضب واشتبكت عيناه بعينيها وهو يقول: «سأشتري المنزل لك، ومن الطبيعي أن تحتفظي بالهدايا التي أقدّمها لك. صدقيني، سأكون أكثر من كريم. ولكن يجب ألا يعلم أحد أن علاقتنا أكثر من مجرد علاقة مضطربة فشلت في النهاية».

– فشلت؟

– جلّ ما أطلبه منك هو اثني عشر شهراً، يا ليلي. اثنا عشر شهراً ستمنح إيمّا فرصة تعود فيها إلى حياتها من دون أن تقلق عليّ، كما ستهدّىء المستثمرين ووكلائي. وبعدئذٍ، سنفترق دون أسف. سأشتري لك ذلك البيت. . .

– هل أنت جاد حقاً؟

ونظرت إليه فاغرة الفم. كانت تظنه يمزح. ليس في موضوع أخته طبعاً فهو لا يحتمل المزاح. وبدأ يخطر لها أن عرض الزواج من هانتر ليس نزوة طارئة، فحتى لو لم يفكر فيه سوى خمس دقائق، إلا أنه فكر فيه.

– أنا جاد تماماً.

وكانت نبرته صادقة. فسألته: «ولماذا أنا؟».

- ولِمَ لا؟ أنت جميلة ومرحة وجذابة للغاية... يمكنني أن أفكر في طرق كثيرة أسوأ من هذه لقضاء الأشهر التالية.

- لكن يمكنك أن تحصل على امرأة. لِمَ ليس أبيغايل أو...

- لأنهن سيرتكبن أخطاء غبية كثيرة مثل الوقوع في الغرام والظن أن هذا سيكون إلى الأبد.

- بينما أنا وأنت نعلم أن هذا ليس صحيحاً.

- بالضبط.

وتركها، ثم أحضر هاتفه الخلوي وطلب رقماً لبلغي موعده للغدّ وأشار إليها أن تفكر في الأمر قبل أن يعود إلى الهاتف ليقرأ قائمة مواعيد أخرى معقدة لأبيغايل السيئة الحظ.

ولعل الغريب في المسألة هو أنها فكرت في اقتراحه. كان المستقبل المحيّر الذي يعرضه هانتر عليها يشغل أفكارها.

لم تفكر في المنزل، رغم أن هذا أمر جيد.

ولا في السيارة... أو المال...

بل فيه هو...

في الاثني عشر شهراً رائعاً مع هذا الرجل الذي يحبس الأنفاس.

كيف يمكنها ألّا تفكر في ذلك؟

٤ - لا تتدخل

- أحسن؟

أومأت إيجاباً. كانت تشعر بتوتر الأيام الماضية يزول عن كاهلها وهما يتركان المدينة خلفهما.

اختيار ما ستلبسه لقضاء يوم في الريف مع شخص رائع مثل هانتر، لم يكن سهلاً. فقد استبعدت السروال القصير والصندل اللذين اعتادت أن تلبسهما في الريف، تحسباً فيما لو أراد هانتر أن يتناول الطعام في مطعم أنيق. وبعد جهد، استقر رأيها على تنورة «كاكي»، وبلوزة قطنية بيضاء مربوطة عند الخصر بعقدة، وحذاء خفيف بلون القشدة... ثم أمضت وقتاً طويلاً في وضع الزينة على وجهها.

وها هي الآن جالسة في المقعد الجلدي الناعم في سيارته التي راحت تلتهم الأميال، مختلسة النظر إليه. بدا بالغ الحيوية والنشاط في بنطلونه الجينز وقميصه الأسودين... كان غير حليق الذقن، وقد أخفى عينيه الثاقبتين خلف نظارات شمسية داكنة ما جعله يبدو مثيراً وخطيراً ولا يمكن ترويضه. كان جسده الذي صبغته الشمس ينضح طاقة جعلت الاضطراب يتملك ليلي، وفكرت ياسمة في أنه من النوع الذي تحذّر الأمهات بناتهن منه.

قال: «أنا بحاجة إلى هذا. لم أحصل على يوم عطلة منذ زمن لا أتذكره. أعني ليس يوم عطلة حقيقياً... وتعرفين ما أعنيه. أيّ يوم من دون كمبيوتر أو هاتف خلوي».

آفاق الثقافية
www.ilas.com

وكانا قد تركا هاتفيهما خلفهما. كان هذا بسيطاً لكنه بدا لهما طيشاً لذيذاً وهما يخططان لهربهما المؤقت من العالم.

- أشعر وكأنني هاربة من المدرسة.

وابتسمت وهي تمد ساقيها أمامها، مستمتعة بهذا الشعور الرائع بالحرية.

سألها ونبرة دهشة في صوته: «هل كنت تفعلين ذلك؟ إنك تبدين بنتاً طيبة».

ضحكت وهي تقول: «مرة واحدة فقط. في الواقع، هذا لا يبدو شيئاً بالمقارنة بالهرب من المدرسة. ذهبنا أنا وبعض الأصدقاء إلى السينما، وبقيت طوال الوقت خائفة من أن يراني أحد، أو أن تلاحظ المدرسة غيابي فتتصل بأهلي. لهذا، لم يكن الأمر ممتعاً على الإطلاق. أظنني ما زلت أخشى أن تكتشف أمي الأمر، ماذا عنك أنت؟».

فهزّ كتفيه: «كنت أفعل ذلك دوماً».

- ألم تكن تخشى أن يعرفوا ذلك؟

- كانوا يعرفون دوماً. وكنت أتجادل دوماً مع أبويّ ومع المدرّسين...

- هل كانوا يعاقبونك؟

- يا لجهنم، كلا طبعاً، فقد كنت من أكثر تلامذتهم اجتهاداً. لم يشاؤوا أن يلطخوا سجلّهم بطردي إذ كانوا يعلمون أنني سأكون الأول في كل الولاية عندما أتخرج.

وأطلق ضحكة عميقة منخفضة نادرة بقدر ما هي معدية، فابتسمت بينما تابع: «لم أكن بحاجة يوماً إلى من يرشدني ويوجهني في دراستي».

- لطالما كانت أمور حياتك سهلة.

- صدقيني. لم يكن ذلك سهلاً.

شيء ما في لهجته سبّب لها رجفة. وتوقف الحديث بينهما فيما ازداد التوتر في السيارة.

فقلّب وهو ينظر إلى الطريق أمامه، بينما ابتلعت هي ريقها وتابعا مشوارهما صامتين.

- آسفة، أنا فقط...

- افترضت ذلك.

حطمت الخشونة في صوته ذلك التقارب بينهما، ووضعتها مع بقية الناس الذين بدا واضحاً أنه يظن أنهم لا يفهمونه.

- الافتراض هو أمر عادي يقوم به الناس دوماً.

والتفت إليه لتلاحظ ملامحه المتوترة وتدرك مدى ألمه وهو يتحدث عن أبويه بعد فقدانه لهما بذلك الشكل الفظيع.

- لا بد أنك تفتقدهما؟

- من؟

- والديك!

رأت هذا طبيعياً لكنها لم تقل ذلك.

- لماذا؟

ونظر إلى الصدمة في وجهها: «أنت تعرفين القول المأثور (لا يمكنك أن تختار أسرتك)».

- أظن...

عبس واشتدت يده على عجلة القيادة حتى ابيضّت سلامياتها. أخذت تفكر بسرعة في شيء تقوله كي تنهي هذا الموقف الجهنمي الذي لا يطاق. بدا واضحاً أنه لا يريد أن يتحدث، لكن المدهش أنه هو من أنهى هذا الصمت عندما قال: «كان أبي يحمل ماجستير في العلوم. لكن منذ اللحظة التي شُخص فيها مرضه تخلى عن كل شيء. في

الواقع، لم تكن حالته سيئة إلى حد كبير بالمقارنة مع آخرين على الأقل. لكن بدلاً من أن يقاوم المرض... وبدلاً من مواجهته، أغرق نفسه في تعاسته، وحاول أن يجرّ الآخرين معه. حوّل حياة أمي إلى جحيم. ما زلت أسمع ضرب عصاه على أرض غرفة النوم عندما يريد شيئاً. ما زلت أرى أمي وهي تركض إلى غرفته لكي تصل إليه قبل أن يضرب بعصاه مرة أخرى. لا أدري لما لم تهجره».

- لعلها...

-تحبه؟ سبق واتفقنا أن ما من شيء كهذا. سألتها لماذا لا تتركه يتمرغ في تعاسته وترحل؟

فسألته وقد صعقتها وفاجأته: «هل سألتها هذا حقاً؟».

- نعم، فقالت إن لدينا بيتاً رائعاً، وأنّ ولديها تعلّما في أحسن المدارس. ورغم أنه مريض إلّا أنه ما زال يكسب الكثير من المال... من استثماراته المتعددة. كما قالت إنه لن يستطيع العمل من دون معاونتها، وإن هذا الترف كله سيزول... قالت إن من واجبها كزوجته أن تبقى.

وأطلق ضحكة خافتة لا بهجة فيها، وتابع يقول: «لم تفهم قط أنني لو كنت مكانها لعشت في خيمة حقيرة لأبتعد عن ذلك كله».

وسكت وهو يمعن النظر في الطريق أمامه، غارقاً في ذكرياته لحظة. وإذ شعرت بأنه قال ما يكفي، وبعد فترة صمت ودية بعض الشيء، حركت الموضوع مجدداً، طارحة السؤال الذي أزعجه منذ البداية، فقالت ببطء وهي ترى يديه تشتدان على عجلة القيادة: «هل أنت دوماً بهذا الشكل من الغطرسة والثقة بالنفس؟».

مضت لحظة صمت لكنه التفت إليها أخيراً ومنحها ابتسامة بالغة الحلاوة أذابت، ليس الجو الكئيب وحسب، بل قطعة أخرى من قلبها، ثم قال: «دوماً».

توغلا في البراري تاركين خلفهما كل أثر للحضارة. وكان الطريق المتعرج يسبح في الضوء الأخضر الهادىء بينما الأشجار تظللهما. وتملك ليلي الإثارة وهما يقتربان من البيت. سلك هانتر الطريق الخاصة الموصلة إليه والمكسوة بالعشب فالتفتت إليه لترى رد فعله، متأملة ذلك الوجه المترقّع الجامد وهو يلين لدى رؤيته له لأول مرة. قالت له: «إنه رائع، أليس كذلك؟».

وجدته كالعادة أجمل مما رأته آخر مرة. كان منزلاً كبيراً مغطى بنباتات متعرشة ذات أزهار مختلفة الألوان، تحيط به أشجار سامقة بينما تنحدر في الأمام الأرض المكسوّة بالعشب الغزير أمامه.

لم يجب بكلمات، إنما فتح باب السيارة وخرج منها، ثم خلع نظاراته الشمسية ووقف جامداً:

- يمكنني أن أفهم سبب عدم رغبتك في فقدان المنزل، رغم أنني آخر من تجذبه المناظر الطبيعية، فأنا نادراً ما أخرج من المدن.

- هل لأن ليس لديك وقت؟

- نوعاً ما. ولأنني لم أشعر قط بحاجة إلى ذلك. إذا رغبت في الاسترخاء، أخضع لجلسة تدليك أو...

ولم يكمل جملته بل التفت إلى المنزل متطاولاً بعنقه إلى الناحية الجبلية الغارقة في أشعة الشمس.

- تعال لترى داخل المنزل.

- أرى ما سأشتريه؟

- أنا لم أقل نعم.

- لم تقولها بعد.

لم تجب بل قادته نحو البيت. وكادت تتعثر بسبب سلة طعام مخصصة للنزهات في البرية. وقالت: «ما الذي جاء بهذه السلة إلى هنا؟».

www.liilas.com

- إنها أبيغايل. طلبت منها أن تتخذ الترتيبات اللازمة لإرسال طعام الغداء لنا.

- ولكن كيف عرفت العنوان؟

وتملكتها الحيرة وهي تسير أمامه إلى المطبخ بينما حمل السلة.

- ثمة مزاد علني في مكتب الرهن العقاري بعد أسبوعين وذلك في منطقة «التل الأحمر». وهذا كافٍ تماماً بالنسبة إلى أبيغايل.

- إنها بالغة الكفاءة.

وضحكت فأدار هانتر عينيه: «هذا ما تحرص على قوله دوماً».

طافا في أنحاء المنزل وعيناه تستوعبان التفاصيل بينما كان يتابع حديثه: «أرادتني أن أغيّر اسم وظيفتها من (المساعدة الشخصية) إلى (السكرتيرة الشخصية) و(مانحة المواعيد)».

- وماذا قلت أنت؟

- لم أقل شيئاً. لم أخبرك بعد بالجزء الأفضل، فهي لم تسألني! في الواقع، كتبت رسالة وأرسلتها بالبريد. نحن نرى بعضنا البعض من اثنتي عشرة ساعة إلى ثماني عشرة ساعة يومياً، ومع ذلك ترسل إليّ رسائل! ربما ظنت أنني سأنظر إلى الأمر بجدية أكثر مما لو طلبته شفهياً.

فابتسمت بالرغم عنها: «وهل فعلت هذا؟».

- بكل تأكيد. كتبت إليها أجيبها أن بإمكانها أن تطلق على نفسها أي لقب لعين يعجبها شرط أن تضع حداً لهذه الطلبات السخيفة. أظن أنه كان عليّ أن أضع هذه الرسالة في البريد.

وصلا الآن إلى غرفة المكتب. أضاءت ليلي النور، فعاد وانطفأ على الفور. وبالرغم من وجود نافذة كبيرة، إلّا أنّ هذه الغرفة معتمة أكثر من بقية غرف المنزل، بسبب شجرة كبيرة تظلل النافذة. لكنها بدت رائعة الجمال رغم ذلك. وتنهدت ليلي: «هذه غرفتي المفضلة...

أعني كانت».

توقعت منه أن يدخل. كانت قد أحست بتململه في غرف النوم، فأدركت أنه ابتدأ يسأم، لكن لعله شعر بشيء في صوتها، فتقدم منها وأحاطها بذراعيه، ووقفا لحظة صامتين ينظران إلى الجدران المغطاة بالكتب وأكوام الحطب بجانب المدفأة.

وأخيراً، كان هو من خرق الصمت: «كانت؟».

- اعتدت أن أمضي كثيراً من الأوقات هنا مع أبي... أثناء دراستي لعلم النفس، كنت أجلس إلى المكتب بينما يجلس أبي على ذلك الكرسي.

وأشارت إلى كرسي مريح متجد بالجلد.

- هل أنت طبيبة نفسية؟

- ليس تماماً. لقد تركت الدراسة بعد سنتي الثانية.

فقال يؤنبها مداعباً: «لم يكن هذا تصرفاً حكيماً منك».

ولكن عندما رأى العذاب على ملامحها توقف وسألها: «كيف حدث ذلك؟».

- كان أبي مريضاً، وبحاجة إلى مال. عملت نادلة في مطعم، كما عملت في مكتبة عامة وهكذا تابعت تعليمي الحرّ حيث كنت أصغي إلى المجموعات التي تجتمع في المكتبة للدراسة. وذات ليلة غاب أحد المحاضرين فحللت مكانه لأجد أن لديّ ما أقوله حقاً، وأن بإمكاني أن أرشد الناس في مشاكلهم وأساعدهم ليكون لديهم هدف في الحياة. ومنذ ذلك الحين أخذت قدرتي تتضاعف.

قال بجرأة: «كان عليك أن تعودي لإكمال دراستك».

وعندما نظرت إليه تلاشى الاستنكار عن ملامحها ومُحي الندم على خيارات الماضي وأومأت قائلة: «أعرف هذا.. فقط لم...».

- لم تفعلي.

- بل لم أستطع.

وأغمضت عينيها وهي تتنفس بعمق وقد ملأها الألم وهي تفكر في الماضي، لكنها عادت فطردت كل هذا من ذهنها، وهزّت رأسها لتخليه من أيّ ذكرى. وعندما تلاشت الذكريات، وفتحت عينيها، بدت الأمور على ما يرام. وكان هانتر يبتسم لها برقة.

- ما رأيك في الغداء؟

وتركها تذهب بمنحها بذلك لحظة تمسح فيها دموعها وتغسل وجهها. لم تشأ أن يرى احمرار عينيها ولم تكن جاهزة تماماً لمواجهته، فذهبت إلى غرفة الغسيل حيث أحضرت لمبة وعادت إلى المكتب.

كانت تعلم أنها إذا لم تفعل هذا، فأمها ستفعله. دفعت المكتب ثم وضعت فوقه الكرسي. كان السقف من الارتفاع بحيث يشكّل تركيب اللمبة مغامرة خطيرة، لا سيّما امرأة كأمها في الخمسين من عمرها. وضعت يدها على السقف بثبات لتسند نفسها بينما أخذت تدبر اللمبة القديمة بيدها الأخرى، لقد سبق وقامت بهذا العمل مئات المرات من قبل، ولكن ليس بمثل هذه النتيجة المذهلة.

بعد أن أنهت وضع اللمبة وحاولت أن تنزل، التفت قبضة قوية حول ساقيها، ووقعت الكرسي فيما وجدت نفسها على كتفين عريضتين.

- ما الذي تفعلينه يا ليلي؟

منعتها الصدمة من الرد، وشعرت لحظة بالدنيا تنقلب رأساً على عقب حتى أنزلها على الأرض بقوة قبل أن يردف: «كان من الممكن أن تقعي فتموتي».

صرخت برعب: «النوبة القلبية هي ما كان ليقتلني بعد الرعب الذي سببته لي».

- لماذا لم تطلبي مني أن أفعل هذا؟ لو سقطت لكسرت عنقك. إنه

عمل غير مسؤول.

وسكت وهو يدس يده في شعره ثم قال وعيناه تتألقان في وجهه الشاحب: «اطلبي المساعدة في المرة القادمة».

فقالت وهي تسوّي ثيابها وتتنفس بعمق: «في المرة القادمة لا تتدخل...».

www.liilas.com

شبكة ليلاس الثقافية
www.liilas.com

٥ - تزوجيني

- يمكنني أن أبقى بهذا الشكل إلى الأبد.

أدهشتها كلماته وتلاشت معها الرغبة في الجدل التي شعرت بها.

كانا مستلقيين على غطاء سميك والسماء فوقهما، والنعاس يداعب عيونهما لكثرة ما تناولاه من طعام. ورغم أن هذا ما شعرت ليلي به، إلا أنها لم تتوقع أن يراوده الشعور نفسه، إذ أحسّت بأنه سيقفز في لحظة ويبدأ في جمع أمتعته للرحيل. لكن هانتر لم يكن مستعجلاً للذهاب إلى أي مكان. وانقلبت على جنبها، مستندة إلى مرفقها ونظرت إليه فرأت لأول مرة هذه الملامح الجامدة الخالية من المشاعر مسترخية، فيما أغمض عينيه وبقي فمه مفتوحاً قليلاً. ورغبت في أن تنحني وتلمسه... أن تعانقه.

وفعلت ذلك. وكانت لمسة ناعمة بطيئة وتركها تفعل من دون أن تتحرك في وجهه عضلة واحدة.

انقلب على جانبه ليواجهها لحظة.

قال وهو يحدّق فيها وشعره الأسود الناعم مشعث فوق جبينه، وقد ضاقت عيناه تركيزاً: «أنت جميلة للغاية يا ليلي».

وشعرت بذلك فعلاً. لا يمكن أن تندم أبداً على الوقت الذي تمضيه معه. كانت مسرورة للغاية لأن هذا اليوم هو أجمل أيام حياتها وهو يوم ستتذكره دوماً. كان هو المعلم الذي أراها نفسها... أراها المرأة التي في داخلها، وهي أرادت أن تتعلم... أن تكتشف معه ما

لطالما أخفته.

- هل فكرت قط في العودة إلى الدراسة؟

حدّقت في السماء، شاعرة بدفء أشعة الشمس على وجهها واستسلمت لسحر هذه اللحظة، فأغمضت عينيها مفكرة، وقالت: «أحياناً...».

- هل ندمت؟

- لم يكن لدي خيار.

- سألتك إن كنت قد أسفت على ذلك.

ساد صمت طويل، وأخذ قلبها يخفق وهي تعترف بما لم تعترف به من قبل... حتى لنفسها.

- يومياً.

- هل تحبين أن نقومي بذلك مرة أخرى؟ أعني إذا استطعت إرجاع عقارب الساعة.

- لا تقل ذلك.

وأغمضت عينيها محاولة تناسي كلماته.

- لماذا لا تعودين للدراسة الآن؟

- فكرت في العمل بنصف دوام. لكنني مضطرة للعمل.

- إذا تزوجتني فلن تكوني مضطرة للعمل!

فتحت عينيها: «هانتر... لا يمكن لهذا أن ينجح».

- مدة عام واحد فقط. يمكن لهذا العام أن يغيّر أموراً كثيرة في حياتنا نحن الاثنين.

هذا صحيح... وأخذت تفكر في مستقبل آمن مالياً، تنقذ فيه أمها من مذلة خسارة بيتها... ويمكّنها من استعادة أحلام تركتها لأسباب خاطئة. لكن تساؤلها تحوّل إلى حيرة عندما حدقت في هانتر، محاولة النفاذ إلى أعماق هذا الرجل البالغ التعقيد.

- لا أفهم لماذا تريد أن تفعل هذا. إنني أتفهم مشاكل إيما، ولكن لماذا عليك أن تحلها؟

قال ببساطة: «لأنني أستطيع ذلك».

ثم ابتسم بخبث بالغ وأضاف: «لا بد أن ثمة أموراً أخرى».

حاولت أن تتابع الحديث... لكي تفهم. لكن الموضوع انتهى.

ولامس وجنتها برقة، مبعداً خصلات شعرها عن وجهها في صمت لم يشأ أيّ منهما خرقه. شعرت باضطراب شديد في لمسته وراح رأسها يدور فيما تزاحمت الأفكار فيه.

وبعد لحظات، قال كمن يقرأ أفكارها: «من الممكن أن نعرف أياماً جميلة كثيرة يا ليلي ولن تضطري لبيع بيتك...».

وعانقها فارتجفت وسالت الدموع على وجنتيها عندما تدفقت المشاعر في كيانها. لم تكن تريده أن يتوقف. لكنه رفع بصره إليها مرة أخرى وتابع: «يمكنك أن تنهي دراستك كما يمكنك أن تعملي أحياناً».

شعرت بالتوتر وهي تكافح لئلا تفكر في عرضه الذي ينعش آمالها الخفية، ويكشف الغطاء عن أحلام لم تكن تجرؤ على تصورها.

- يمكنك أن تحصلي على كل ما ترغبين فيه وتصبحي كما تريدين أن تكوني، بمجرد أن تقولي نعم.

تركها تفكر في عرضه لحظة، تقيّم الحسنات والسيئات.

- تزوجيني ليلي.

لم يكن يسألها بل يخبرها. وكانت هي تريده. تريده بجانبها. تريد كل ما يمكنه تقديمه لها.

- نعم.

٦ - لن أتسامح

شعورها ببرودة الذهب وهو يلبسها الخاتم شتت ذهنها. كان توقيعها على الوثيقة تلخيصاً تافهاً لما يحدث، وأرادت أن تطلب وقف ذلك كله بسرعة لتخبر مسجل عقود الزواج أنه لا يحبها. لكن عندما أمسكت بالقلم أدركت أن هذا لا يهم مثقال ذرة. لأنهما، قانونياً، زوج وزوجة.

قبلها مرة بعد مرة. قبلها من أجل أسرتها التي استمتعت بهذه القصة الغرامية، ومن أجل الصحافة التي اجتمعت، ومن أجل بقية الحضور. بدا هانتر مقنعاً للغاية، وذكياً وساحراً إلى درجة شعرت معها ليلي وكأن كل ما يجري حقيقي، فكادت تسترخي وتستمتع، لكن هذا زاد من تعاستها.

تنظيم حفل زفاف بسرعة لم يكن مشكلة على الإطلاق ما دام لديها حساب مصرفي مفتوح والعريس هو هانتر مايلز. وتم الحجز في فندق فاخر ومضى النهار بهدوء وسلاسة وكأنما خطط للعرس منذ أشهر. فقد تم الاهتمام بكافة التفاصيل، من الخاتم السوليتير في إصبعها إلى عزف إيما على الكمان عندما توجه العروسان إلى باحة الرقص. كانت الموسيقى رائعة وعاطفية إلى حد أن هانتر احتضنها عندما ألقت رأسها المرهق على صدره وأغمضت عينيها تتشمم رائحته. كان سهلاً للغاية أن تستسلم للأحلام وتقتنع كحال الجميع، بأن الحب اكتسحهما في هذه اللحظة.

آفاق الأندلس الثقافية
Eman Atlas.com

ضمها إليه وأحنى رأسه حتى أصبح فمه قرب أذنها وقال: «تبدين مذهلة».

لم تجب وتركت كلماته تجرفها، متمنية أن تستمر إيمّا في العزف إلى الأبد، وألّا ينتهي هذا الرقص أبداً. قال: «كان هذا اليوم رائعاً، وأنا بالغ الزهو...».

- إياك...

حملقت فيه وتصلب جسمها بين ذراعيه وفقدت إحساسها بالأنغام الموسيقية. وتعثرت خطواتها قليلاً لكنه ثبّتها، واشتدت ذراعاه حولها عندما حاولت أن تعتدل وتبدو متزنة في حركاتها. لقد بالغ في تمثيل دوره وهو يتحدث إليها برقة وحنان عريس حقيقي يوم زفافه. قالت: «لا تتظاهر بأن هذا حقيقي».

- لكنه كذلك، يا ليلي. أنت رائعة الجمال وأنا مزهوّ بوجودي معك، فتوقفي عن مقاومة ذلك.

كان هانتر على حق. من الأسهل أن تكف عن المقاومة، وأن تبقى جميلة مزهوة طوال الوقت... وهكذا أذعنت وسمحت لنفسها بالاستمتاع بوقتها.

عندما توقفت الموسيقى وقف الراقصون وأخذوا يصفقون. ونظرت ليلي إلى أخته برهبة، ممتلئة بالإعجاب بموهبتها لأنها لم تسمع من قبل عزفاً بهذا الجمال والإبداع. بدا هذا الكمان وكأنه امتداد لها... وكان وجهها يتألق وهي تعزف فيما المشاعر تتدفق منها من خلال الآلة الموسيقية.

قالت ليلي: «إنها تعزف بشكل رائع».

لكن هانتر لم يكن يصغي، بل راح ينظر عبر القاعة والعبوس في وجهه: «من هو ذلك الفاسق الذي يتحدث إليها؟».

كان صوته بالغ التملك فضحكت ليلي عندما رأت من تتحدث إليه

إيمّا: «هذا ابن عمي جيم. وهو ليس فاسقاً بل شاب ظريف حقاً».

- إنه يكاد يحضنها. ماذا يفعل بحق جهنم؟

فقالت بهدوء: «إنه يتكلم معها. يبدو وكأنه أحضر لها شراباً وهو الآن يتحدث إليها».

- بل هو يعاملها بخشونة.

- بل هما يمازحان بعضهما البعض.

وجرّته تديره ليواجهها، فقال: «لكنها...».

- إنها في الخامسة والعشرين، وهي جميلة جداً وموهوبة.

كانت ليلي تتفهم رغبته في حماية أخته... وبدا أنه اقتنع بكلامها، فقد زال التوتر عن ملامحه. ولعله أدرك أنه يغالي في تصرفه فابتسم لليلي بينما كانت أمها تقترب منهما لتهنئتهما للمرة المئة، وتتحدث عن إيما، إيما الرائع. وابتسم هانتر: «أرادت أن تعزف لنا. أنا مسرور جداً لاستمتاعك هنا يا سيدة هاربر... أعني كاثرين...».

فقالت باسمة: «وكيف لا أستمتع؟ لو أخبرني أحد منذ أسبوعين أنني سأحضر اليوم عرس ليلي لاعتبرته مجنوناً. لا أصدق هذه السرعة كلها».

فأجاب هانتر بلباقة: «ولا نحن. لكننا فكرنا بأنّ ما من داعٍ للانتظار ما دمنا واثقين مما نريده».

- عليّ أن أعترف بأن بعض الشكوك راودتني عندما أخبرتني ليلي. لكنني عندما رأيتكما معاً ارتاح بالي تماماً. استطعت أن أدرك أنكما شغوفان ببعضكما البعض.

لا عجب في أن أمها ارتاح بالها عندما رأت صهرها وصفاته الحسنة، لكن ليلي كانت أكثر خبرة منها وستخبرها فيما بعد. وتابعت أمها تقول: «أنا أعلم أنكما ستكونان سعيدين معاً... يا عزيزتي».

ومدّت يدها تلامس وجه ابنتها، ممسكة به لحظة. وأدركت ليلي

ماذا سيتبع هذا فأغمضت عينيها تحبس دموعها: «أبوك سيزهو بك اليوم».

شعرت بالامتنان عندما اشتدت قبضة هانتر حول خصرها، شاعراً من دون شك بعمق المشاعر التي تملكتها حين قالت أمها منتقلة من صيغة الماضي إلى الحاضر: «ليلي وأبوها متحابان بشكل لا يصدّق».

شعرت ليلي بتوتر هانتر يسري في جسدها، وأدركت أنه سمع هذا الخطأ هو أيضاً، لكن ابتسامته لحسن الحظ لم تتغير.

- كان رجلاً رائعاً. ولو أنّ حبكما، أنت وليلي لبعضكما البعض يعادل ذرة من حبنا، فستكونان سعيدين حقاً.

تمتم صهرها الكامل الصفات: «لا بد أنك تفتقدينه بشكل بالغ».

فهزت رأسها: «ولماذا أفتقده وأنا أعلم أنه ما زال معي؟».

- هل أنت بخير؟

لأول مرة لم يكن مسيطراً أو ساخراً. ولأول مرة جاء سؤاله مباشراً وحقيقياً ما جعل الجواب صعباً. إن جواباً جافاً سريعاً سيكون أسهل من الكشف عن أكثر جوانب حياتها إيلاماً.

قالت ليلي: «أنا بأحسن حال».

وعضت شفتها بشدة وأدارت رأسها كيلا يرى وجهها، لكن هانتر لم يكتفِ بردها. أمسكها بيدها وقادها إلى الشرفة فلم تقاوم. لكنها عندما أصبحت في الخارج أدركت ما كانت عليه من توتر، وإلى أي حد هي بحاجة إلى فرصة لتزيح هذا القناع الزائف عن وجهها للحظات.

تنفست هواء الليل البارد وهي تحاول أن تكبح دموعها: «كان يوماً شاقاً. لعلها الهرمونات».

- حسناً، ما أعرفه هو أن التوتر يظهر قبل العادة الشهرية وليس بعدها.

لاحت ابتسامة خفيفة على فمها وهي تراه يأبى أن يُخدع.

أدارها إليه مضيفاً: «هيا، أخبريني يا ليلي عما حدث بالضبط؟».

أخبرته بالقليل مما تشعر به: «أشعر وكأنني محتالة هنا... لأني أتظاهر بالسعادة».

- ولكن لماذا لست سعيدة؟ أنا شخصياً سعيد.

- كيف؟ كيف نكون سعيداً بينما أنت تخدع الكل؟

- نحن لا نخدع أحداً، كما أننا لا نخدع أنفسنا أيضاً. نحن الاثنين نشعر بالمودة والاحترام نحو بعضنا البعض. ونحن سنقوم بكل ما في وسعنا لنجعل هذا أفضل زواج... حتى ولو كان مؤقتاً. طابعه المؤقت لا يعني ألا يكون جيداً أو مفيداً.

- أظن أنّ هذا صحيح.

وأومأت متمنية أن تشعر بالعزاء، لكن كل كلمة كانت تقطع أحشاءها كالسكين، لأنها تعني النهاية المحتومة.

- لكنني لا أظن أن هذا كل ما سبب لك الكدر. هل هو ما قالته أمك عن أبيك؟

شعرت بمعدتها تتقلص وردت: «دع هذا».

لم تكن تريد أن تبكي ضعفاً، ولاحظ هو هذا فمسح بإصبعه دمعة امتزجت بالكحل قبل أن تسيل: «أنا أفهم شعورك، يا ليلي».

هزت رأسها: «لا يا هانتر. أنت لا تفهم».

- لقد فقدت أبويّ السنة الماضية.

لعله قال هذا ليستدرّ عطفها، أو ليريها أنه يفهم شعورها حقاً، لكن ليلي كانت تعلم أنه لن يفهم قط. لن يعرف أبداً مقدار الألم الذي أثارته فيها كلمات أمها. التعاسة البالغة من أن يكون المرء على علم بسرّ يتمنى لو أنه لم يكتشفه قط. وقالت: «لن تفهم شعوري أبداً».

- جربيني.

لكنها عادت تهز رأسها. لعلها زوجته الآن، لكن مشاعرها

وأسرارها ملك لها. إنها ما زالت سيدة نفسها ولا يمكن أن يغير ذلك قطعة من الورق أو مبلغ من المال.

- سأذهب لأجدد نشاطي.

ودفعت عنها... دفعته عنها لأنها إذا بقيت ثانية أخرى بين ذراعيه، ستخبره بما يؤلمها. ستكشف له سراً أقسمت على عدم البوح به. وكانت خائفة للغاية من مدى رغبتها في ذلك، وتابعت تقول: «سأعود فأراك هناك».

شعرت بالارتياح لانفرادها بنفسها، فأغلقت الباب الثقيل على صخب حفل الزفاف فانخفضت الأصوات قدر الإمكان. أخذت تحدّق في صورتها في المرآة محاولة أن تجد نفسها، أن تتمالك مشاعرها، متخذة مظهراً خارجياً مناسباً. لكن هذا لن يحدث الليلة. واستطاعت أن تبتسم عندما جاءت امرأة جميلة جداً ووقفت بجانبها أمام المرآة، وعندما انحنت لتتفحص زينة وجهها، نظرت في عيني ليلي، وسألتها: «هل تستمتعين بوقتك؟».

كان صوتها بجمال مظهرها. حاولت ليلي أن تتذكرها لكنها أدركت أنه لم يسبق لهما التعارف من قبل، فهي ليست بالشخص الذي يمكن نسيانه بسهولة. كانت ذات شعر أسود لامع ينسدل متموجاً على كتفيها السمراوين، وقوام طويل يرفل في ثوب طويل فضي اللون. ومع أنه كان عرسها هي، إلا أنها شعرت بنفسها باهتة مملّة مقارنة معها.

وأجابتها ليلي: «كثيراً. لا أظننا تعارفنا من قبل».

تلألأت عيناها الذهبيتان بعيني ليلي، وأجابت: «لا، لم نتعارف. كنت مشغولة جداً. أنا من نظم هذا العرس. أنا من عليك أن تشكريه لهذا اليوم البالغ الروعة!».

قد تكون مذهلة، لكن ذلك اللمعان الخطير في عينيها هو لامرأة تحطمت علاقتها بحبيبها حديثاً. وفي تلك اللحظة عرفت ليلي هذه

المرأة التي تواجهها. إنها المرأة التي أعلن هانتر أنها نسيته تماماً!

شكراً جزيلاً يا هانتر! وتأوهت ليلي في داخلها وهي تستجمع كل مهارتها لكي تواجه هذا الوضع الصعب.

- لا بد أنك أبيغايل. هانتر! يمدحك كثيراً وأنا أرى السبب. لقد قمت بعمل مبهر. شكراً!

- هذا أكثر بكثير من مجرد وظيفة. أظنك تتوقعين مني أن أقدم نهاني؟

كان وجه أبيغايل قريباً من وجهها بشكل خطير، إلى حد أمكنها من أن تشعر بالكراهية والغضب يسري في خلايا جسدها.

- في الأسابيع القليلة الماضية تعلمت ألا أتوقع شيئاً.

حاولت ليلي أن تنهي الموضوع لكن يبدو أن أبيغايل كانت تنتظر هذه اللحظة. ولا شك أنها أمضت الأسابيع الأخيرة في التخطيط ليس للعرس وحسب بل للمواجهة أيضاً. وأدركت ليلي، بالغريزة، أنها إذا لم تخرج بسرعة من غرفة استراحة السيدات هذه، فستسمح لأبيغايل بأن تفرغ غضبها.

- هانتر غير قادر على البقاء مخلصاً أكثر من خمس دقائق. صدقيني، أنا أعرفه.

أجابتها ليلي بتوتر وهي تنظر إلى الباب راجية أن يدخل أحد... أي شخص: «شكراً على تحذيرك».

- لا تدبري ظهرك يا سيدة مايلز، فإذا لم يكن أنا، أؤكد لك بأنه ستكون هناك امرأة أخرى تريده وتنتظره.

فأجابت ليلي: «خذي حريتك. ولكن اعلمي أنك ستنتظرين طويلاً.. لأنني أثق بزوجي».

- أنت إذن حمقاء.

قذفتها أبيغايل بهذه الكلمات، ثم خرجت.

- هل كل شيء على ما يرام؟ لماذا تأخرت؟

وقبلها هانتر على خدها قبلة رسمية حين تقدّمت منه وهي لا تزال ترتجف قليلاً من أثر المواجهة.

- صادفت إحدى صاحباتك المريضات نفسياً في استراحة السيدات.

وابتسمت بحلاوة وهي تهمس في أذنه: «شكراً لهذا التحذير!».

لكن إذا ما توقعت ندماً، فهي لم تحصل عليه إذ ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه هانتر وهو يندفع بها إلى باحة الرقص.

- من كانت؟

جهله بشخصيتها جعلت الأمور أسوأ. لكن، وعلى الرغم منها، ارتسمت على وجهها ابتسامة لسماعها سؤاله المخيف. كان هانتر سيئاً للغاية لكنه رائع في الوقت نفسه، وأجابت: «بالنسبة إلى المستقبل، هذا جواب خاطىء يا هانتر».

- لم أقل قط أن ما من ماضٍ لي.

- هل كنت مضطراً لإحضار ماضيك إلى العرس؟

- هيا، قولي من ذلك الشخص؟

فتحت فمها لتخبره، لكنها غيرت رأيها في آخر لحظة، وهي تتذكر المثل القائل: (قرّب إليك أصدقاءك، وقرّب أعداءك أكثر). وأدركت أن عليها أن تلزم الحذر مع تلك المرأة لكي تقوم بهذا الدور بشكل سليم.

وهكذا، نظرت إليه بجد وقد اختفى المزاح من عينيها: «لا يهم من تكون. في الواقع أخبرتها أنني أنق بزوجي، فلا تجعلني أبدو حمقاء يا هانتر. وأعلم أنني لن أتسامح أو أعطي فرصاً أخرى».

- لن أكون بحاجة إلى ذلك.

تكلم بثقة وهو يجذبها إليه بشدة يراقصها ما جعلها تختار، حالياً،

أن تصدقه. أغمضت عينيها أمام الجموع التي تنظر إليهما، تنتظر من الحاضرين أن يخرجوا... أن يتفرقوا... ويدعوا هانتر يحتضنها...

٧ - هو من يتحكّم بالأمور

قال هانتر وهو يفتح الباب ويشير إليها بالدخول: «هذا بيتي».

حالياً فقط.

لم يقل هاتين الكلمتين طبعاً، لكنها شعرت بهما معلقتين في الهواء. شعرت مرة أخرى بالصفة المؤقتة لوجودها هنا في الأشهر الاثني عشر القادمة.

دخلت إلى شقة هانتر الفسيحة، محاولة ألّا تشعر بالإحباط من هذه الشقة الفخمة المترفة. كانت شقته أو شقتهما، تحتل طابقاً كاملاً من بناية حديثة تناطح السحاب. وكانت مشاهد المدينة من مبان وجبال تبدو، ليس من خلال نافذة، بل من خلال جدار كامل من زجاج ما جعلها تشعر بدوار عندما اقتربت منه. شعرت وكأنها واقفة على حافة جرف هاوٍ معرضة لأن تسقط إلى جوف الليل المظلم عند أقل زلّة قدم.

- أتريدين القيام بجولة؟

طرح هذا السؤال وهو يلتقط جهاز التحكّم عن بعد لتتعالى موسيقى هادئة في الجو. لكن ليلي هزت رأسها نفياً، وقالت: «لا بأس بأن ألقي نظرة من حولي».

وهذا ما فعلت، مستوعبة ما يحيط بها من ترف وبذخ. الموسيقى التي شغّلها هانتر تعالت في كل الغرف المؤثثة بذوق راقٍ. ورغم أنه مسكن مترف للغاية لم ترَ مثله قط من قبل، إلا أنه لم يكن يعتبر (بيتاً) على الإطلاق. لم يكن فيه ما يشير إلى أنه مأهول! لا شيء يشير إلى

هانتر. فهو ليس من اختار الدهان الذي يدل على ذوق حسن، أو أغطية السرير الفسيح. لقد أدركت هذا بالغريزة، فشعرت وكأنهما يزوران معرضاً للأثاث أو فندقاً مترفاً. فتحت باباً فطالعها حمام يتألق بالرخام، وقد ثنيت أوراق المرحاض فيه بشكل مثلثات صغيرة، فيما اصطفت زجاجات الشامبو وغيرها بشكل جيد. وانتقلت إلى المطبخ فوجدته شبيهاً به. وعندما جاء هانتر ليقف بقربها فتحت الثلاجة فوجدتها خالية إلا من بعض الأشربة والجبن والفاكهة وإبريق يحتوي على حليب، وكلها تفحص وتجدّد كل صباح من دون شك.

قال: «أفضّل أن نأكل في الخارج. أو إذا شئت أن نأكل في البيت فيمكنك أن تتصلي بالبوّاب فيطلب من أيّ مطعم أن يرسل لنا طعاماً».

فأجابت ليلي: «يمكننا أن نحاول الطهو».

لكن نهكمها ضاع سدى. وحاولت ليلي أن تغطي مشاعرها بابتسامة وهما يعودان إلى غرفة الجلوس: «شقتك مذهلة الجمال».

بدت عليه الدهشة لإعجابها بالشقة وقال: «أحقاً؟ أظن أن جهاز الستيريو عظيم... ولكن...».

ونظر من حوله مردفاً: «أنا أكره تلك الصور اللعينة، خصوصاً هذه...».

وأشار بإصبعه إلى إحدى اللوحات، فقالت ضاحكة من سخطه: «ولماذا اشتريتها إذن؟».

فأجاب بصوت أنثوي: «لقد اختارها مهندس الديكور».

كانت نصف مصغية وهي تنظر إلى الليل من خلال الجدار الزجاجي.

أكثر الرجال الذين عرفتهم في حياتها وسامة وتميّزاً هو لها الآن لكي تكتشفه، وتشغف به وتكون معه. بدا وكأنه أحس بأفكارها إذ تقدم ووقف خلفها يحيط خصرها بذراعيه. مال قليلاً على كتفها وضغط خده

www.liilas.com

على خدها وأخذ يحدق في الليل وإلى الطيور وهي تحوم حول الأضواء فيما تبدو مدينة ملبورن الصاخبة ساكنة من خلال الزجاج السميك.

- لقد أحبتك أختي.

أخرجها صوته المنخفض من أحلام اليقظة فمالت عليه باسمة: «وأنا أحببتها رغم أنها ليست كما كنت أتصور».

- كيف...؟

- فقط تصورت...

وعضت لسانها. لعل اختيارها للكلمات خشن بعض الشيء، ولكن بحسب وصف هانتر لأخته، تصورتها ليلي امرأة كئيبة مليئة بالمرارة، امرأة تكافح كي تعتاد على إعاقتها. لكن إيمّا بدت مختلفة تماماً. فابتسامتها معدية، ومرحها وشغفها بالحياة واضحان. إنها إما ممثلة قديرة وإما.. وقطّبت ليلي جبينها لعدم عثورها على الصفة التي تريدها.

قال ضاحكاً بصوت خافت: «أمك رائعة».

فضحكت بدورها: «أتعني أنها مجنونة؟ إنها تتحدث عن أبي وكأنه خرج من المنزل ليعود في أي لحظة. كان هذا يقلقني في البداية، لكنني الآن أبتسم فقط».

- ما زلت لا أفهم ذلك.

واشتدت قبضته عليها وكأنه أحس بأنها ستتملص منه مبتعدة. وكان على صواب لأنها أجفلت في اللحظة التي تطرق فيها إلى الموضوع، ولو لم يكن يحتضنها بشدة، لابتعدت عنه بكل تأكيد. وقال: «لو كان لديك والداي، لفهمت نظرتك السلبية إلى الحب. لكن من الواضح أن والديك كانا شغوفين ببعضهما البعض. لهذا، حتى بعدما حدث لك مع مارك، لا بدّ أن يتبقى لديك شيء من الإيمان بالحب».

المدهش بالنسبة إلى ليلي هو أنها ترغب ولأول مرة في الحديث عن ذلك. في الواقع، أرادت أن تشرك هانتر في شيء من الوحدة التي تعانيها.

حتى لو كان هذا الزواج خالياً من الحب، إلّا أنّ المودة تجمعهما وهذه قد تساعد على الانسجام. ربما إذا أخبرته عما يضايقها، فسيرتاح ذهنها المضطرب قليلاً.

- لطالما كنت أظنهما شغوفين ببعضهما البعض. كانت طفولتي جيدة للغاية كما أظن.

كانت تتأمل قطاراً في الخارج يدخل إلى المحطة وكأنها تشاهد فيلماً سينمائياً. ولسبب ما، وجدت أنه من الأسهل أن تركز على الحياة في الشوارع، على أن تركز على ما كانت تقوله.

- كان أبي وأمي رائعين. حتى في مراهقتي، كنت منسجمة معهما تماماً وليس كبعض صديقاتي...

- لم تشهدي أيّ ثورة؟

- لم أجد ما أثور عليه. كنا جميعاً في أتم انسجام.

اشتدت ذراعاه حولها فمالت عليه إلى الخلف مسرورة بقوته، بدفئه، وشاكرة لأنه يحثها على متابعة حديثها. يبدو أنه يتفهّم صعوبة الكشف عن الأمور الخاصة.

- لا علاقة لهذا بموت أبيك، أليس كذلك؟ أخبريني يا ليلي.

- لا أريد ذلك.

لكنها ما لبثت أن ابتدأت تخبره قصتها مترددة: «قبل أن يموت بالضبط، أرادت أمي أن تريه بعض الصور. فأرسلتني إلى العلية حيث نضع الأغراض العتيقة...».

- استمري.

كان يحثها الآن، لكن ليلي سرّها أن تجد من يقودها خلال حقل

الألغام من المشاعر هذا. سرّها أن تجد القويّ الواثق الذي يسائدها وهي تزحف مترددة: «كنت في العلية أفرز الصناديق القديمة والحقائب، فوجدت بعض الرسائل».

لم تعد تبكي الآن، لكن المرارة ظهرت في صوتها وهي تعود بذاكرتها إلى دناءة ما اكتشفت: «بعض الرسائل منها، والبعض الآخر منه».

زمجرت بهذه الكلمات وقد شحبت شفتاها. وحدثتها ملامح هانتر بأنه فهم. وأجابت عن السؤال الذي لم يطرحه: «لم تكن مجرد نزوة عابرة فقد دامت سنتين. كنت أنا في حوالى الثانية عشرة عندما ابتدأت. كانت علاقة عنيفة تماماً...».

- هل قرأتها كلها؟

- كلها.

أومأت وهي تغمض عينيها وكأن الكلمات بقيت تتراقص أمام عينيها طوال تلك السنوات: «ثم أحرقتها».

- هل أخبرت أمك؟

صرخت مجفلة والهستيريا تزحف إلى صوتها: «كيف أخبرها؟ لقد ذهبت إلى مارك. أردته أن يخبرني عما عليّ أن أفعل...».

- فوجدت أن العالم كله قد جن جنونه.

ساعدها بهذه الكلمات فابتسمت، رغماً عنها، ابتسامة باهتة لوصفه هذا. عندما وجدت مارك مع جيني، شعرت وكأن عالمها جن جنونه فعلاً: «لم أستطع أن أخبر أمي. لو أخبرتها لتحطمت حياتها. تحطمت ذكرياتها. كيف أخبرها بأن كل ذلك لم يكن إلا خداعاً، وأن الرجل الذي أحبته وشغفت به حتى النهاية، خدعها؟».

قال بحزم ووضوح بالغ: «لا. ما كنت لتستطيعين ذلك... على الإطلاق».

ونفعها ذلك. نفعها أن يوافقها الرأي، وأن يعلمها أن ذلك القرار الفظيع المؤلم الذي اتخذته كان هو الصواب.

همست: «ليتني لم أعثر على تلك الرسائل! ليتني لم أترك مهنتي من أجل رجل كان مجرد مخادع! ليتني لم أعرف الحقيقة!».

- لكنك لا تعرفين الحقيقة يا ليلي.

قطبت جبينها وقد شتتت كلماته ذهنها، بينما تابع: «أنت تظنين أنك وجدتها في تلك الرسائل، لكن هذا ليس سوى جزء بسيط منها، فقد بقي والداً عظيماً وزوجاً عظيماً».

- كان مخادعاً.

- كان بشراً يا ليلي وهذا ليس سرّك لكي تكشفيه أو تخفيه.

- لا أفهم.

فقال برقة: «ربما لن تفهمي أبداً. فلندع ذلك الآن».

- الأمر ليس بهذه السهولة...

كانت تتشاجر مع نفسها أكثر مما تتشاجر معه لأنها أرادت أن تكون قادرة على أن تضع الحقيقة التي اكتشفتها جانباً، لكنها لم تستطع.

قال: «دعيه يعود أباك مرة أخرى، يا ليلي».

إنه يقلل من شأن أكبر مشكلة في حياتها وكأنها تستطيع أن تنسى بسحر ساحر. وتابع قائلاً: «لا تحاولي أن تحللي الأمور».

- هل هذا ما تفعله أنت؟ ترفض الذهاب إلى هناك؟

- إلى أين؟

- إلى داخل نفسك.

- لن أجد شيئاً هناك. إنني أعالج الأمور حين تحدث ثم أتركها حيث هي.

قالت بجرأة: «كلا».

لقد منحته الكثير من نفسها وهي تريد الآن قطعة منه، قطعة من

روحه تحتفظ بها إلى الأبد... مهما حمل المستقبل لها. وتابعت تقول: «هانتر، ربما لم تكن علاقتك بهما قوية لكنهما والداك ومع كل ما حدث لأختك...».

هزّ رأسه مبتسماً لها بريائه لم تفهمه تماماً، وقال: «ليلي... لقد حدث ما حدث... وتعذيبي لنفسي لن يغير الأمور».

نظرت إليه بجرأة وسألته مطالبة بالتفاصيل: «ماذا حدث؟ لقد حدث هذا مؤخراً يا هانتر. ما حدث كان فظيعاً ولا شك أن ثمة أمور ما زالت عالقة و...».

فأدار عينيه: «أرجوك! لا تبدئي بالتحليل».

- أنا أعرف ما حدث لأبويك، وما حدث لإيمّا... ولكن، هل لك أنت أيّ علاقة بالأمر؟

- أبداً.

وتابع بابتسامة باهتة: «لهذا، ما من شعور بالذنب. نعم، كان هذا فظيعاً. نعم، كان هائلاً. ووقوف الشرطة على الباب ليس بالأمر الذي أرغب في تذكره. أنا مستعد للاعتراف بكل هذا. على أيّ حال، اللطم على صدري لن يغير ما حصل. والسؤال الدائم كيف ولماذا لن يعيد عقارب الساعة إلى الوراء».

- هذا صحيح... ولكن...

- دعي عنك هذا.

تكلم بحدة ثم عاد فندم على خشونته. شيء ما في صوتها أزعجه، شيء لم يسمعه من قبل، شيء بعيد عن الاهتمام المهني. هاتان العينان الذكيتان الفضوليتان كانتا تثوهجان قلقاً. وبدلاً من أن يطمئنه ذلك، ملأه ارتياعاً... وهذا لا يعني أنها لا يمكن أن تفهم.

بل ربما يمكنها ذلك...

إن كشفه عن ألمه قد يدفعه إلى الكشف عن مخاوفه. كان الأمر

بالنسبة إليها أكثر من مجرد تردّد وحيرة وهي تنتظر بصمت بعد أن قامت بهذه الخطوة المتقدمة نحو الحميمية بينهما.

وشعر هانتر بالغثيان وهو يفكّر بمستقبل كماضيه... كماضي أمه.

قال بمزيد من الرقة وعلى فمه تلك الابتسامة الشيطانية: «لا أريد كلمة (ولكن) هذه».

بعدئذ، حوّل اتجاه الحديث فجأة وهو يجذبها إليه: «لدينا أمور أكثر أهمية نهتم بها الآن».

- مثل ماذا؟

- مثل إتمام هذا الزواج.

- هانتر...

فتحت فمها لتحتج، متلهفة لأن يتحدث إليها... لأن يكشف المزيد عن نفسه لها. لكن وكالعادة، أقفل عليها الباب برقة بالغة قائلاً: «لا جدل. أنت زوجتي الآن وستفعلين ما أريده».

- وعندما تصلب جسدها بين ذراعيه وضاقت عيناها لكلماته تلك أضاف: «أنا أمزح».

- حسناً، لم يكن هذا المزاح مضحكاً. لأنه إذا كنت تظن...

لم يدعها تكمل وأوقف احتجاجها بعناقه. لكن، حتى قبلاته الماهرة، لم تستطع أن تسكت ذلك الصوت المتواصل الذي أخبرها بأنه لم يكن يمزح. وحتى لمساته القوية التأثير لم تستطع أن تمحو تماماً الأفكار المزعجة التي راودتها.

فبدخولها عالم هانتر، وحين أصبحت زوجته، فقدت، بشكل ما، سيطرتها على نفسها. ومهما بلغ استعدادها للمساهمة في هذه العلاقة فإنّ هانتر هو من يتحكّم بمجرى الأمور.

٨ . من أجلي أنا

- هل نذهب إلى غرفة ملابس إيمّا ونتمنى لها حظاً سعيداً؟

شعرت ليلي فجأة بالخوف من الأماكن المغلقة فيما نظر إليها هانتر ببرودة: «لماذا؟».

منذ قدومه من العمل، وطلبه منها بحدة أن تسرع بالاستعداد، أمضى بعدها نصف ساعة مع أبيغايل على الهاتف، بينما هي واقفة تنتظره ليذهبا لمشاهدة إيمّا على خشبة المسرح.

- كيف كان العمل؟

طرح هانتر عليها هذا السؤال الذي بدا عادياً في ظاهره لكنه يتضمن معانٍ عديدة. حاجتها لأن تثبت وجودها وأن تحتفظ برابط بين ماضيها المؤقت ومستقبل لا مناص منه كانت موضوع نزاع لا ينتهي.

- صعب. من الصعب أن تظهر انتماءك إلى الناس بينما أنت تصل بسيارة وسائق خاص.

فهزّ كتفيه: «لا تذهبي إذن».

كانت تريد أن تعمل، أن تحتفظ بذلك الجزء من نفسها البالغ الأهمية لروحها. مهما بلغ حجم المساعدة التي قدمها هانتر للمركز الذي تعمل فيه، ومهما كان سهلاً عليهم أن يجدوا مستشاراً سواها... يا لجهنم، حتى طبيب نفسي حقيقي... ما زال هذا لا يعجب ليلي. ومهما بلغ عدد المرات التي حاولت فيها أن تشرح له الأمر، إلا أن هانتر لم يفهم. لكنها متأكدة من أنه لا يحتاج لأن يكون مؤذياً إلى هذا

الحد.

وحدثت ليلي نفسها بأنه متوتر الأعصاب حتماً فعودة إيمّا إلى المسرح خطوة خطيرة ولا عجب إن وتّرته. لكن هانتر المتوتر لا يشبه أي شخص آخر. في الواقع، رأت ليلي أن الزواج من هانتر أشبه بتصفّح موسوعة من دون فهرس.

يسهل وصفه ويستحيل تحديده.

خلال الأسابيع التي تلت عرسهما، تنبّه كل شعور فيها. كل ثانية أمضتها مع هانتر كانت غاية في المتعة والنشوة. ظرفه وسرعة بديهته، صحبته الممتعة، محبّ المزاج السيء الذي يتملكه أحياناً من دون سبب فيصبح أشبه بزوبعة صغيرة لا تنفك ترقص في الأفق. وفي كل مرة يكون وصالهما أشد عنفاً.

قال عائداً إلى الموضوع الأساسي: «على أيّ حال، لا شك أن غرفة الملابس مزدحمة الآن. إن ابن عمك جيم معها يتزلف إليها».

فقالت بحدة: «هذا حسن. إنها تستحق بعض الحنان».

قاطع رنين الهاتف الكلمات الحادة التي كانت على طرف لسانه، واصطكت أسنانها عندما سمعت صوت أبيغايل مرة أخرى. رفع هانتر الهاتف بينما أخذت هي رشفة من كأسها. وشعرت فجأة برغبة في أن تقذفه إلى الأعلى... الزحام، روائح العطور المختلفة، الجوّ المسمّم نوعاً ما... كل هذا جعلها تشعر بالتعاسة. وعندما انتهى الاتصال أخيراً، سألها هانتر: «ما الأمر؟».

- أشعر بالحرارة قليلاً.

- إنها أبيغايل تؤكد لي فقط أنها أرسلت الأزهار إلى إيمّا، إذا كان هذا ما يقلقك.

- هذا لا يقلقني.

وهزت رأسها نفياً، وسرعان ما تمنت لو أنها لم تفعل. راحت

شبكة ليلاس الثقافية

الغرفة تدور من دون رحمة، ولم يظهر على هانتر أنه لاحظ ذلك. كان ممسكاً بذراعها يقودها إلى الداخل فيما الجموع تتدفق إلى الأمام. ومضت لحظة مفزعة شعرت فيها ليلي بأنها ستموت الآن أمام الجميع. والأسوأ من ذلك هو أن يحصل هذا أمام هانتر: «أريد أن أذهب إلى استراحة السيدات».

كان الكلام أسهل من الفعل. وشتم هانتر عندما سارت بعكس اتجاه الجموع. كانت البذلات السوداء وربطات العنق غائمة أمامها وهي تسير متعثرة نحو الاستراحة لتجلس بثوبها الباهظ الثمن على غطاء كرسي المرحاض ورأسها بين ركبتيها، وقد استحالت الحرارة الخانقة الآن إلى برودة ثلجية وراح العرق البارد يغمرها.

- رباه، أرجوك . . . أن تريحني.

كانت تعلم أن هانتر يقف في الخارج، وأن هذه هي أهم لحظة بالنسبة إلى إيمّا وإليه. وتلهفت لئلا تفسدها، وبللت شفتيها بارتياح عندما ابتدأت الرؤية تتضح أمامها، ودقات قلبها تتباطأ، ويعود اللون إلى وجهها الشاحب، فانتصبت واقفة، وهي تحدّث نفسها بأن السبب هو الطعام الدسم. ووقفت أمام المغسلة تغسل يديها وفمها وتجدد زينة شفتيها. إنها الليالي الطويلة التي لا تنتهي، والاستيقاظ باكراً، والاستجابة لرغبات هانتر الجامحة غالباً.

واستطاعت أن ترسم ابتسامة خفيفة على شفتيها وهي تخرج لتواجهه وتواجه من دون شك تعليقاً ساخراً آخر، لكنه لم يقل شيئاً بل تأبط ذراعها وسار بها إلى مقعديهما، وقد تصلب جسده بجانبها. نظرت إليه قبل أن تخفت الأضواء فرأت ملامحه متوترة وفكه متجهماً، فأدركت أن الرعب يتملكه على إيمّا. وأدركت أن سوء طبعه هذا المساء هو موجّه نحو نفسه أكثر مما هو موجّه نحوها.

قالت له برقة وهي تضع يدها على يده المتوترة ثم تمسكها سواء

شاء ذلك أم أبى: «ستكون على ما يرام».

- أحقاً ستكون كذلك؟

استطاعت حتى في الظلمة أن ترى العذاب في عينيه عندما التفت إليها لحظة، فكادت تبكي من أجله. أدركت، بشكل ما، أن الشعور بالذنب الذي ينكره بشدة موجود بينهما.

- ستكون رائعة!

وكانت فعلاً كذلك.

في الجزء الأول من العرض، جلسا على أحرّ من الجمر، ينتظران عزفها المنفرد. كانت الموسيقى الممتازة بعيدة عن الرقة واضطرت إيّما لأن تماشيها، وحتى تحسّنها. وعندما جاء دورها في النهاية، عندما خفتت الأضواء لحظة واتخذت إيمّا موضعها على خشبة المسرح، شعرت بيد هانتر تشتد حول يدها. وكادت تقسم أنهما توقفا عن التنفس حين انتقلت إيمّا من كرسيها المتنقل. توترت كل عضلة في هانتر حتى انطلقت أخيراً الأنغام الصافية العذبة الواضحة في جوّ المسرح المزدحم. كانت إيمّا تعزف بشكل رائع بينما شعرها الحالك السواد منسدل على كتفيها والثوب الواسع الذي ترتديه يخفي كرسيها. لكن غياب الكرسي المتحرك لم يكن هو ما قلل حجم إعاقتها، بل إيمّا نفسها . . . موهبتها، رشاقتها، حضورها بشخصيتها الرقيقة التي جذبت الجمهور حتى تلاشى آخر نغم، لينطلق التصفيق ويصم الآذان من جمهور هبّ واقفاً. وحده هانتر وقف خلف الجميع وقد ارتسم على ملامحه ما لم تستطع ليلي أن تقرأه، وهو يحدّق في أخته. كانت ليلي مستعدة لإعطاء أي شيء في سبيل أن تعرف ما يفكر فيه.

أي شيء لتعرف ما يهز مشاعر هذا الإنسان حقاً . . . أي شيء.

أما بقية العرض فكان عذاباً إذ تملك هانتر الملل، وأراد أن ينتهي العرض فيذهب ويهنىء أخته. وانكمشت ليلي في مقعدها، راجية أن

تهدأ القاعة لحظة واحدة فقط لتواجه الأفكار التي لا تطاق والتي خطرت لها.

الحب... الحب الحقيقي لا وجود له. وليلي تعرف ذلك، تعرف ذلك، تعرف ذلك. وقد عرفت الحقيقة في أسوأ الظروف. إذ لم يخدعها خطيبها وحسب بل أباها أيضاً. حقيقة أن الحب الحقيقي مستحيل هي السبب الوحيد لوجودها هنا، فهي تعرف أنه لا يدوم، وأنهما يقومان بهذا لمصلحة كل منهما. ومع ذلك...

أخرجها الضوء من تحليلاتها الداخلية. وكان هانتر أول من وقف في قاعة المسرح. وحدّقت ليلي فيه وقد احمرّ وجهها شاعرة فجأة بالخجل.

زمجر بصوت خافت: «هيا بنا!».

شعرت بالشكر لغطرسته هذه وغروره.. وسرّت لأن لحظة حماقتها انتهت. وتساءلت كيف يمكن لأي شخص أن يعشق مثل هذا الرجل الذي يسرع في سيره غير مكترث بما يصطدم به ويطأه من برامج سقطت على الأرض.

- كنت رائعة يا إيمّا.

في الكواليس، عانق هانتر أخته مهنئاً ومتجاهلاً جيم الذي وقف ممسكاً بيدها.

- إنه أشبه بعزفي في الماضي، أليس كذلك؟

طرحت أيمّا هذا السؤال على هانتر، فشعرت ليلي بقشعريرة تتملكها وهي ترى عيني هانتر تتحولان إلى الكرسي المتنقل ثم تعودان. ورأت العذاب يرتسم على وجهه وهو يومىء قائلاً: «بالسهولة التي كنت تعزفين بها من قبل».

تألق وجه إيمّا وقالت بينما يدها ما زالت بيد جيم: «بل أفضل. إنني أعزف بشكل أفضل من قبل».

قطّب هانتر جبينه: «وكيف؟ أعني كل ما كنت تشعرين به من صعوبة في إيجاد توازن...؟».

فقالت إيمّا بفرح بالغ: «لقد تغلبت على ذلك، الآن. لا يمكنني أن أشرح الأمر. يبدو وكأن كل الألم، كل ما عانيته، موجود في موسيقاي. وكأن كل ما لا أستطيع البوح به يمكنني أن أعبّر عنه في...».

- في عزفك...

ساعدتها ليلي باسمة فأومأت إيمّا شاكرة بينما تابعت ليلي: «كنت خلاّبة. أنا لا أعرف شيئاً في الموسيقى، لكنني أعرف أنك كنت مميّزة».

- شكراً يا ليلي.

بدأت صداقتهما أثناء حفل الزفاف وغالباً ما كانت إيمّا تزورها في الشقة لتناول القهوة معاً، فترفع من معنوياتها فيما لو ظهرت لها صورة غير جميلة في مجلة ما. وكانتا تضحكان عالياً لبعض التعليقات المؤلمة ولوصف الصحافة لها بعديمة الأهمية، وتساؤلها كيف يمكن لامرأة عادية الجمال أن تستولي على قلب هانتر.

قال هانتر: «ما رأيك في تناول العشاء معنا؟».

لكن إيمّا هزّت رأسها مغطية: «لقد سبق وحجز جيم مائدة لاثنين».

فقال هانتر: «حسناً، سنخبرهم أن يجعلوا المائدة لأربعة».

لكن ليلي سارعت لنجدة إيمّا حين رأت وجهها يحمرّ: «في الواقع، أنا مرهقة يا هانتر وأتمنى حقاً أن أعود إلى البيت وأوي إلى الفراش. هل لديك مانع يا إيمّا؟».

وغمزت بعينها الفتاة خفية، ففهمت هذه وقالت بارتياح: «لا، طبعاً».

وابتسمت إيمّا عندما تحوّل هانتر ليخرج مودعاً بفتور بالغ فقالت

له: «شكراً للزهور ولحضورك... و... آه، ليلي».

هتفت إيمّا بذلك عندما همّت ليلي بالخروج مع زوجها الصعب المراس، فالتفتت ليلي بينما كانت إيمّا تقول: «لا أريد أن أخبرك كيف...».

وبان التوسل في عينيها لكي تسمح لها ليلي بإكمال حديثها، لكن ليلي حدّقت فيها بارتباك.

- أنت تعلمين أن هذا صعب للغاية عليه.

لكنها لم تكن... لم تكن تعلم، لأن هانتر يرفض دوماً أن يخبرها بما يعتمل في داخله. كان يخذلها في كل مرة ويدفعها عنه بعد كل محاولة. كيف لها إذن أن تخبر إيمّا بذلك؟ كيف يمكنها أن تخبر هذه الفتاة الحساسة الرائعة أن أخاها العزيز، وهذا الزواج، زائفان؟ فقالت: «وهو أصعب عليك بكل تأكيد».

وما زاد الطين بلة هو قول إيمّا ببطء وهي تهز رأسها: «ليلي، أخبريه دوماً بأن ما جرى لم يكن ذنبه... وربما سيصدق هذا يوماً ما».

سألها هانتر وهما ينتظران وصول السيارة: «ما الأمر بينكما؟ أرادت إيمّا أن...».

فقاطعته: «أن تتناول العشاء وحدها مع جيم. لكنك من انعدام الإحساس بحيث لم ترَ هذا».

- يا لجهنم!

وعندما رأى سائقه يقف بالسيارة عند المنعطف، بدا وكأن كل توتر وغضب فيه قد تبدّد، وارتسمت على فمه ابتسامة قبل أن يقول لها: «هل تعلمين أنهما إذا تزوّجا، فستحضر زوجتي السابقة العرس؟».

فقالت بنفس الابتسامة المترددة: «وزوجي السابق أيضاً».

كانت لا تزال منزعجة من تصرفه هذه الليلة مصعوقة من الفكرة التي

خطرت لها ومذهولة مما كانت إيمّا تحاول أن تخبرها به.

سألها متأملاً: «ابن عمك وأختي.. هل سيربطنا هذا بصلة قرابة؟».

- فليساعدنا الله!

جوابها الجاف جعله يضحك. ثم، ومن دون خجل، وبالرغم من وجودهما أمام قاعة الموسيقى، ومن حركة السير الكثيفة، جذبها إليه وأخذ يقبلها.

هل قبلاته هي سبب هذه الأضواء الوامضة أمامهما؟ تساءلت ليلي عن ذلك وهي تنتزع نفسها منه لاهثة قليلاً من عنف قبلاته. فجأة شعرت بأنه كان يستغلها.

هل فعل هذا بسبب آلات التصوير؟

طرحت عليه هذا السؤال لكنه هزّ رأسه نفياً، وعاد يقبلها، ويداه القويتان الدافئتان على ظهرها، وهو يقول بصوت أجش: «بل من أجلي!».

٩ - نعم، ستفتقده

- هل لديك أي عمل اليوم؟

كان يتكلم وهو يعقد ربطة عنقه، وقد وقف مزهواً بين كومة من المناشف المبللة وفوضى رجل لا يهتم ولا يحتاج لأن ينظم ما يتركه خلفه.

أجابت وهي تتثاءب وتتمطى: «لست واثقة».

كانت تدرك أن هذا هو أول يوم، منذ تزوجت هانتر، تكون فيه حرة لتفعل ما تريد. فزواجهما السريع ترك أموراً كثيرة عالقة. الشعوذة ولعب دور الزوجة أمران متماثلان. في الواقع، العالم الفاتن الذي دخلته كان مغرياً للغاية في البداية، الملابس الرائعة، وصولاً إلى تسريح الشعر في أفخم الصالونات.

لكنها تشعر الآن وكأنها تعيش في فيلم، فيلم لم تتوقف الكاميرات فيه عن التصوير. تمثيلها دور زوجة هانتر أخذ يصطدم بعالمها الحقيقي أكثر فأكثر. إنها الممثلة الرئيسية في مسرحية هانتر. وعادت تبتسم ضاحكة لفكرة أنها حرة اليوم وقالت: «لا، في الواقع. قد أخرج لأشتري سيارة. قال الميكانيكي إن شراء سيارة جديدة أوفر من إصلاح السيارة القديمة».

رأت يديه تتصلبان لحظة، وتتوقفان عن عقد ربطة العنق، فوجدت نفسها تتصلب بدورها مستعدة للدفاع عن نفسها وهي تقول: «لا أتوقع منك أن تدفع ثمنها».

فعلى الرغم من أنها حاولت بلهفة أن تساعد أمها في تسديد ديونها، إلا أنها لم تكن بحاجة إلى المال حين عرفته كما أنها لم تتوقع من هانتر أن يشتري لها سيارة رياضية فارهة. لكنه هز رأسه وسألها عن السائق الذي اختارته أبيغايل لها: «وما عيب السائق لاكلان؟».

عبست: «لا شيء».

- إذا كنت غير راضية عنه، فيمكنني أن أطلب من أبيغايل أن...

- لست بحاجة لأن تطلب من أبيغايل أن تفعل أي شيء من أجلي.

قاطعته وهي تنتصب جالسة في السرير وقد أزعجها أن يتحوّل أمر بسيط كهذا إلى أمر معقد: «لاكلان ممتاز، لكنني لا أطيق أن يقود بي السيارة فيما يمكنني أن أقودها بنفسي».

- ولكن لا حاجة بك لذلك.

لم يكن يصغي إليها بل راح يملأ حقيبة أوراقه بالأوراق، ووضع هاتفه الخلوي ومحفظة نقوده في جيبه، متعمداً تجاهل احتجاجها. وعندما رفعت صوتها قليلاً لكي تحظى بانتباهه أنهى الموضوع: «انسي مسألة البحث عن سيارة. لماذا لا نتناول الغداء معاً؟».

فسألته بحقد: «هل ستطلب من أبيغايل أن تدخلني في برنامج اليوم؟».

كانت أبيغايل الكفوءة دوماً تخطط لكل دقيقة من نهاره المرهق. بدا وكأن تصرّف أبيغايل العاطفي يوم الزفاف لم يحدث أبداً فهي تدخل بوقاحة إلى الشقة كل صباح، ولا تعامل ليلي بأكثر من سأم مهذب، وكأنها أحد أعمال رئيسها التي عليها أن تنظمها. وكانت تضع معه برنامجه وهو ليس بالعمل البسيط، حيث أنه قد يكون في سيدني في الصباح، وفي ملبورن بعد الظهر، وفي قاعة الانتظار في المطار مساءً في رحلة إلى سنغافورة تستغرق ثلاثة أيام. لكن وعلى الرغم من أن أبيغايل كفوءة لا غنى عنها، وعلى الرغم من أن تصرفها مع هانتر مهنيّ

بحث، إلّا أنّ ليلي لا تحبها ولا تثق بها.

- لا أريد أن نتناول الغداء معاً. أريد أن أخرج لأبحث عن سيارة.

- المجال غير مفتوح للنقاش، يا ليلي.

ونظر إليها بملامح جامدة مضيفاً: «ما زالت عدسات الصحافة موجهة إليك، فهي تحاول أن ترى دليلاً يشير إلى حمل ما».

- حمل؟ ما الذي تتحدث عنه؟

وضحكت باستغراب فقال: «هذا هو سبب الكثير من حالات الزواج السريع. لكن، وسواء أعجبك هذا أم لا، يكفيك مشقة أن تشرحي سبب إصرارك على العمل لكن مظهرك في سيارة مستعملة لن يخفف اهتمامهم».

كان كلام هانتر مفهوماً لأن اهتمام الناس لم يقلّ فهانتر مايلز، كما عرفت من الصحف في الليلة السابقة لزفافها، لم يكن رائعاً في عينيها فقط، بل كان أحد أفضل العزّاب الأستراليين. زواجه السريع أحدث بلبلة أكثر من مجرد إثارة اهتمام. إلا أنها شعرت بالضيق، شعرت بأنها خسرت قطعة أخرى من حريتها. وهذا يعني ثمناً آخر عليها أن تدفعه لم يكن في حسبانها عندما وافقت على هذا الزواج. وقالت موافقة رغماً عنها: «سأترك هذا الموضوع اليوم».

- أنت بنت طيبة.

بدا سعيداً لحصوله على ما يريد، وجلس على السرير وأمسك بيديها يعبث بهما حتى استرختا قليلاً، ثم أزال بقبلاته العبوس الذي علا وجهها.

لكن ليلي انتظرت حتى هدأت الأمور، ثم قالت لتظهر له أنها لم تستسلم: «بعدئذ، سأشتري السيارة».

- اسمعي. عندما تستقر الأمور قليلاً، سأشتري لك سيارة كهدية عرس متأخرة.

لكنها شعرت بأنه يسترضيها فتلوّت بين يديه محاولة التخلص منه وهي تقول: «ستأتي أيغايل في أيّ لحظة».

- أعدك بأن أسرع.

وابتسم ابتسامته الشيطانية لكنها لم تبادله ابتسامته هذه المرة. فسألها: «ماذا حدث لك يا ليلي؟».

لا بد أنه شعر بضيقها فلم يحاول أن يقبلها، لكن صوته كان من القلق والحنان بحيث نسيت استياءها لحظة وقالت: «أنا أكاد لا أراك...».

وتمنت لو قطعت لسانها قبل أن تقول هذا، لكنه ابتسم: «ابتدأت تتصرفين وكأنك زوجة حقيقية».

فقالت بحذر: «أنا فقط لم أتعوّد على هذا. أنا اعتدت أن...».

ولم تعرف كيف تعبّر، وكافحت لكي تمحو ما أبدته من حاجة إليه، وأن تسحب من الدرب الذي اتفقا على ألّا يسيرا فيه. وقالت: «أظنني اعتدت العمل، والخروج مع الأصدقاء في سيارتي، حيث نقوم بجولة للنزهة...».

- العطلات الصيفية ستنتهي قريباً فتتجاوزين هذه المرحلة من العام. كما أننا نقيم حفلاً راقصاً خيرياً في نهاية الأسبوع، فلماذا لا تخرجين لتشتري لنفسك ثوباً جميلاً؟

كان يحاول أن يساعدها لكنه لم يفهم، ولن يفهم أبداً. وهي، وبكل بساطة، لا تستطيع أن تخبره. إنها لا تحتاج لملء وقتها أو خزانتها بل عقلها. ورغم أنّ ليلي لا تنفك تنصح نفسها بأن ترتاح وتستمتع بصحبته، وأن تسبح مع التيار وتستمتع بكل جديد وبالحليّ اللامعة التي أمطرها بها هانتر. إلّا أنها شعرت وكأن لمعانها قد بهت وكأنه يمتصها بشكل ما... يمتص طاقتها ليلقي بها بعد ذلك جثة هامدة. ووجدت نفسها تومئ موافقة لأن هذا أسهل من الرفض...

قبلت عرضه لأنه كان أكثر أماناً من الجدل... ومن الكشف عما يعتمل في قلبها.

-هذا حسن.

ثم نظر إلى ساعته: «ستكون أبيغايل...».

وتلاشى صوته وهو يقف، ونظرت إليه والشحوب يكسو وجهه بينما أغمض عينيه ثم عاد يجلس ثانياً. وازداد انتباهها عندما دفن وجهه بين يديه.

هتفت بفزع وهي تركع وتحيط كتفيه بذراعها: «هانتر؟».

ولكن لحظة الضعف هذه انتهت فهزّ رأسه وكأنه ينفض منه الأفكار، حتى أن الارتباك بدا عليه وهو يتنفس طويلاً.

- آسف.

- هل أنت بخير؟

طرحت سؤالها هذا بلهفة رغم أن الأزمة إنتهت وعاد لون وجهه طبيعياً، حتى أن ابتسامة أسف ظهرت على شفتيه.

- هانتر، عليك أن تستلقي.

- أنا بخير الآن.

- كلا. لست كذلك. سأتصل بأبيغايل وأخبرها أنك سترتاح اليوم.

فقال يمنعها: «كلا يا ليلي. ابتدأت تخيفينني حقاً. أنت تتصرفين وكأنك زوجة حقيقية».

وابتسم فقالت تجادله، رافضة التراجع: «بحق لي أن أقلق عليك، يا هانتر... هذا الصداع يصيبك دوماً لأن برامج أعمالك متعبة للغاية. على هذا أن يتوقف عاجلاً أم آجلاً».

قال بخشونة: «القلق علي ليس من صلب وظيفتك هنا».

فأجابت وهي تلف الملاءة حولها وتتوجه إلى الحمام: «هذا صحيح».

لقد طعنتها كلماته في الصميم، وفزعت وهي تشعر بدموعها تكاد تنهمر، فأضافت: «أنا مجرد فتاة للمتعة... حسناً، عفواً لأني نسيت هذا».

جلست على الأريكة تحتسي فنجان قهوة، والصدمة لا تزال تتملكها من تأثير كلماته تلك فيها. أخذت تنظر من النافذة إلى المشهد خارجاً. كانت المدينة مزدحمة فالناس متوجهون إلى العمل، والطلاب إلى المدارس. وتمنت لو أنها واحدة منهم، لو أنها هناك في الأسفل، تتصارع مع الجموع، وتمنت لو أنها لم تعرف هانتر أبداً، فهذا يعني أنها لن تفتقده لاحقاً.

فهي ستفتقده.

وعضت شفتها لتمنع دموعها من الانهمار، ثم حاولت أن تفكر في مستقبلها، أن تتصور عالماً بدون هانتر. بدا ذلك أشبه بقيادة السيارة في الضباب. وكلما حاولت ألا تفكر فيه، عاد يشغلها بشكل أقوى. لم تستطع أن تتصور الحياة من دون هذا الرجل الصعب الذي لا يطاق، في حياتها.

عندما وصلت أبيغايل، شعرت بالارتياح تقريباً. دخلت المرأة إلى الردهة الفسيحة وأومأت بتحية لليلي ثم حوّلت ابتسامة القطة على شفتيها إلى هانتر الذي كان يخرج حبتين من الأسبرين من العلبة.

- صباح الخير يا هانتر. تبدو شاحباً قليلاً.

- صباح الخير يا أبيغايل. تبدين متوترة قليلاً.

لسانه المسموم ليس حكراً عليها وحدها على الأقل.. طوقت ليلي ركبتيها بذراعيها وتابعت النظر إلى الخارج. لم تتكلم عندما أخذت أبيغايل تطلعه على برنامج هذا النهار الحافل. مقابلة تلفزيونية بعد ساعة، اجتماع عمل في العاشرة. وتساءلت كيف يمكن لأحد أن يقوم بهذا كله... وكيف يمكن لأي شخص أن يعتبر ذلك أمراً طبيعياً.

سألته أبيغايل مرة أخرى عندما حمل حقيبة أوراقه: «هل أنت واثق من أنك على ما يرام؟ إذا شئت يمكنني أن أحدد لك موعداً مع الطبيب. لدينا فسحة من الوقت قرابة الثانية بعد الظهر».

وعندما شتم هانتر بصوت خافت، قالت: «إنه مجرد اقتراح».

بدا واضحاً أنها أكثر حزماً منها، لأنها لم تهرب مثلها إلى الحمام لتبكي وحدها بل ضحكت وهما يخرجان من الباب: «لو لم أكن أعرفك جيداً، لقلت إنك تناولت مخدراً ما».

لم يهتم حتى بأن يقبلها حين خرج، كما أن ليلي لم تستطع أن ترفع نظرها إليه لتقول له وداعاً. لم تعرف كم طال جلوسها حيث هي. لا بدّ أنها بقيت وقتاً كافياً لكي يصل إلى ستوديو التلفزيون لأنها التفتت إلى الشاشة عندما ارتفع صوته العميق بينما أخذت عيناه الداكنتان تغازلان الزوجات اللاتي يقبن في منازلهن. واحمرّ وجه المذيعة وهي تشكره على إطرائه وتهنئه على زواجه الحديث، قائلة: «كان عرساً مفاجئاً تماماً. هل من سبب لهذه السرعة؟».

– من عادتي اتخاذ قرارات مفاجئة. وغالباً ما أكون على حق.

– ومع ذلك، وبالرغم من نجاحك، ما زالت عروسك تعمل...

قطّب هانتر متأملاً: «أتريدين أن تقولي إنك ضد عمل المرأة المتزوجة؟».

فقالت المذيعة بذعر: «كلا طبعاً. قال البعض إنك ستطلعنا قريباً...».

كانت ابتسامتها متوترة، بانتظار أن يتكلم هانتر، ليفكر أو يثبت حمل زوجته حسب الشائعات. لكنه لم يجب، مرغماً المذيعة على أن تلحّ عليه: «في صحف الأحد التي لا بد أنك قرأتها...».

ابتسم هانتر للكاميرا ما جعل كل امرأة تشاهد البرنامج تذوب بكل تأكيد، وقال: «مضى على زواجي أربعة أسابيع فقط، وقد اختارت

زوجتي أن تتابع عملها. وأنا واثق من أن مشاهدي برنامجك يتفهمون أن لدينا أموراً أخرى نفعلها في العطلة الأسبوعية أفضل من قراءة الصحف».

فهتفت بصوت أجش وقد احمرّ وجهها واختلطت الأوراق على ركبتيها: «طبعاً. أرى أن قيمة أسهم شركتك ارتفعت بمعدل ثماني بالمئة منذ زواجك. أتظن أن ثقة المستثمرين ازدادت...؟».

قاطعها قائلاً: «ثمانية فاصل اثنين، لقد ارتفعت قيمة أسهم شركتي ثمانية فاصل اثنين بالمئة، من الواضح أن المستثمرين لديهم كل سبب للثقة».

كان ثمة ابتسامة على وجهه، لكن عينيه التمعتا بالحذر، وكأنهما تتحديان المذيعة أن تستمر في التدخل في حياته الخاصة. لكنها لم تفعل بل هنأته مرة أخرى. رباه، كان جيداً! ورغم انزعاجها منه، تأثرت ليلي. لم تجد المذيعة أيّ فرصة للتغلب عليه، لكنها أثارت أعصابها. كان الأمر سهلاً بالنسبة إلى هانتر... فقد اعتاد الجلوس أمام الكاميرا، ومواجهة الجمهور والتلميحات. وهذه التلميحات مبررة فهو لم يتزوج فتاة مجهولة وحسب بل تزوجا بسرعة، ما فتح المجال أمام التكهّنات.

وفجأة، استحال ذلك القلق الغامض الذي ما زال يغلي في داخلها من دون أن تعرف سببه ذعراً بالغاً... وهي تسمع تعليق هانتر على أنها حبلى.

هذا غير ممكن! وتوجهت بساقين مرتجفتين إلى التقويم الذي تسجّل عليه مواعيد عادتها الشهرية، مرغمة نفسها على مواجهة موضوع حاولت بلهفة أن تتجنبه.

الساذجة المرهفة الإحساس، التي تنفجر باكية لأتفه الأمور... ويكاد يغمى عليها لسماع موسيقى إيمّا... لكنها كانت تتناول حبوب

منع الحمل...

أخذت تطمئن نفسها وأصابعها المطلية الأظافر تقلب صفحات التقويم.

أخذت تتفحص وتتفحص الصفحات مرة أخرى وهي تعض شفتها السفلى عندما أدركت أنّ آخر دورة شهرية كانت... منذ ستة أسابيع..!

١٠ - لن اغفر لك

- هل كنت نائمة؟

أضناء هانتر النور وتقدم وجلس على السرير حيث استلقت ليلي محاولة أن تعوّد عينيها على الضوء.

قالت وهي تحدّق في الساعة بجانب السرير وتتثاءب عمداً: «حسناً... الوقت تجاوز الواحدة».

لقد اتصل قائلاً إنه في الطريق إلى البيت قرابة التاسعة. وفي الحادية عشرة، وبعد أن تأكدت من أنه لم يتعرّض لحادث وإلاّ لاتصلت بها الشرطة لإعلامها، ذهبت إلى الفراش مع صور تراءى لها وكتاب. بعد كلمات هانتر القاسية هذا الصباح، رفضت أن تلعب دور الزوجة القلقة أو العاشقة المضطهدة فتتصل به لتعرف أين هو. وكانت مسرورة لهذا إذ بدا عليه الارهاق وهو يخلع ثيابه فلم يعبأ بالدخول تحت الأغطية بل استلقى على السرير من دون خجل. وأدار الموسيقى والتقط كتابها وأخذ يقرأ ثم سألها: «ماذا فعلت اليوم؟».

- الكثير. كان لدي اجتماع في المركز. رفضت اقتراحاً بتكوين مجموعة مساندة لمساعدة المراهقين المتورطين في أعمال الشغب والفوضى. كما كنت زوجة ممتازة اليوم فقد ذهبت للتسوّق وأنفقت كثيراً من أموالك الممتعة من دون حاجة لذلك. وقصدت مركز تجميل، ولم أقلق عليك لحظة واحدة.

كان هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة، فقد أمضت النهار بتملكها

مكتبة الأسس الثقافية
Al-Asas Cultural Library
Jordan
alasas.com

القلق، تدور حول الصيدلية في المركز التجاري. تحذير هانتر الدائم من الشائعات جعلها تخشى أن تشتري اختباراً بسيطاً للحمل. وبدلاً من ذلك أمضت فترة العصر في البحث عن العلامات الأولى للحبل. أما النقود الوحيدة التي أنفقتها اليوم فكانت على شراء هذا الكتاب الرائع الذي بين يديه الآن، لكنها لن تخبره بذلك!

- رأيت لوحة رائعة أريد أن أضعها في الردهة عند المدخل.

- يا للفتاة الطيبة!

وضحك من ملامحها الساخرة المتفكهة وهو يتابع القراءة.

- أحسنت! عليك أن تشتري ثوباً للحفلة.

- لدي خزانة مليئة بالملابس الجديدة. لمساعدة من ستكون؟

- عفواً؟

- أعني الحفلة. لمساعدة من؟

- المصابين في العامود الفقري.

وعاد إلى القراءة فنظرت إليه متوقعة أن يسهب. لقد ذهبا إلى أماكن كثيرة ولم تكن ليلي تعرف غالباً وجهتهما حتى يلتقط هانتر مفاتيح السيارة، أو يستدعي سائقه. لكنها توقعت الآن أن يظهر مزيداً من الاهتمام وسألته: «هل إيما ذاهبة هي أيضاً؟».

- وما الذي يجعلها تذهب؟ بصفتها نموذجاً لضحايا هذه الإصابات؟ إنها أكثر رقة وإحساساً من ذلك.

كانت المرارة في صوته، فقالت: «كنت فقط...».

وتلاشى صوتها، وغضنت أنفها وهي تتذكر الحديث الذي نسيت نصفه في بداية تعارفهما.

- هل هذه هي الحفلة الكبرى التي تنظّمها وحدثتني عنها في بداية تعارفنا؟

- أخبرتك أنها هي.

قطبت بارتباك: «لا، يا هانتر، أنت لم تفعل».

- ألم ترفضي عرضهم؟ مجموعة المساندة...

- قلت إنني سأفكر في الأمر.

- لست مضطرة لمراعاتي...

وعاد إلى القراءة من دون اكتراث ظاهر، لكنها كانت تعلم مدى الصعوبة التي يواجهها لينطق بهذه الكلمات. وتابع قائلاً: «إذا كنت تظنين أن عليك أن تفعلي ذلك، فلا بأس».

- سأفعل.

فقال مغيراً الموضوع: «هذا كتاب جيد. ماذا حدث لها؟».

- عفواً؟

وقطبت جبينها محاولة الربط بين المعلومات التي يمطرها بها على الدوام، ومتابعة حديثه المتقطّع. وعاد يقول: «ماذا حدث لها؟ لا أستطيع أن أفهم».

حينئذ، أدركت أنه يتحدث عن الكتاب فضحكت: «أنت لم تقرأ البداية ولعلك لم تقرأ النهاية...».

- ماذا تعنين؟

- لا يمكنك أن تفتح الكتاب فقط ثم تطلب أن تعرف كل ما حدث. يُفترض بك أن تقرأ الكتاب كله... هذا أشبه بدخولك إلى قاعة السينما في الدقائق الخمس الأخيرة من الفيلم ومطالبتك بمعرفة كل ما حدث!

- وما الخطأ في ذلك؟ هل ستخبرينني أم لا؟

فتنهدت بضيق: «لا. لأنني، في الواقع، لا أعرف ما الذي حدث لها. هذا ما كنت أحاوله حتى انتصف الليل».

فرفع حاجبيه: «ليس لديك فكرة إذن! بلغت الصفحة (٢٤٢) وما زلت لا تعرفين!».

استمر في القراءة وقد ثار فضوله الآن. حتى بعد الزواج بشهر، ما زالت وسامته تذهلها، وما زال بهاؤه المتململ يثيرها. لكن الرجل الذي لم تعرفه بعد هو ما يجعلها أسيرته. هذا الرجل الذي يظهر لها ببطء، وبطء مؤلم... هذا اللطف والمودة يجعلانها عاجزة أمامه. والنكتة الجافة منه تجعلها تبتسم دوماً. والناحية الرقيقة التي تراها من حين لآخر، فتمنحها فكرة ما تشعر به المرأة عادة عندما يشغف بها رجل مثل هانتر... ويجعلها تحن إلى المزيد، تحن إلى الرجل الذي يختبئ خلف هذه البذلة الغالية الثمن والصوت المتعجرف الساخر.

من حين لآخر كانت تعيش لحظات رائعة كهذه. وعندما رآها تحدق فيه، سألها: «ماذا؟».

- لا شيء.

لكن ابتسامتها تلاشت وهي تنظر إليه وقد تملكها الفزع عندما تحول إلى نهاية الكتاب وأخذ يقرأ.

- لا يمكنك أن تفعل هذا!

وأمسكت بمعصمه لكنه أخذ يضحك رافعاً الكتاب بيد ومبعداً إياها عنه باليد الأخرى فيما هو يقرأ في الوقت نفسه.

- إذا أخبرتني بما حدث لها أو حتى أشرت إلى النهاية، فلن أغفر لك أبداً.

جثمت على ركبتيها تحاول أن تصل إلى كتابها، وراحا يضحكان معاً إذ كان يغيظها. لكن، وعلى الرغم من احتجاجها، ما لبثت أن تركته فجأة بعد أن تغير الوضع واتخذ وجهة أخرى. وتلاشت براءة اللحظة عندما أمسك هانتر بها قائلاً: «انظري إلى ما فعلت. أنت لا تدعيني وحدي ولو خمس دقائق! حتى وأنا أحاول أن أقرأ...».

- استمر في القراءة إذن.

لكنه لاحظ في صوتها إثارة واستفزازاً حدّثاه بالكثير... وقالت له

مرة أخرى بصوت أجش: «استمر في القراءة».

ونظرت إلى عنقه قبل أن يتناول الكتاب ويستأنف القراءة بينما هي راكعة بجانبه.

وجهه الذي حجبه الكتاب منحها شيئاً من الشجاعة فلا نظرات ذات معنى، ولا شيء يحوّل اهتمامها عن روعته الآخاذة. شعرت بالرغبة تتملكها ومدت يديها إليه مترددة. فسقط الكتاب من يده وهو يعانقها بلهفة.

هتف بصوت أجش وهو يجذبها إليه ويحتضنها بعنف وحميمية وكأنه لا يريد أن يتركها أبداً: «ليلي...».

www.liilas.com

١١ - ذاب كالثلج

اعتاد هانتر أن يستيقظ باكراً جداً، فيستحم ويستعد للخروج قبل أن تستيقظ تماماً. لكن ليلي سبقته هذا الصباح فارتدت ملابسها وتعطرت. وابتسمت حين استند إلى الوسادة مغمضاً عينيه وهو يسألها: «لماذا استيقظت باكراً؟ ظننتك لن تذهبي إلى العمل قبل الحادية عشرة».

- لدي مقابلة في التاسعة!

وابتسمت ابتسامة عريضة وهي تراه يفتح عينيه على اتساعهما ثم ينتصب في جلسته بينما أخذت هي رشفة من قهوتها وقالت: «اتصلت بالجامعة الأسبوع الماضي فأعطوني موعداً».

- أنت لم تخبريني.

هزّت كتفيها قائلة بغموض: «أتراني لم أفعل؟».

لعلها لم تفعل. فبالرغم من أن هانتر بقي في ملبورن طيلة الأسبوع الماضي إلاّ أنه بقي مشغولاً إلى حد كبير، مثلها هي إذ راحت تنظم وتعدّل أمور حياتها والبيئة المحيطة بها. كانت شقة هانتر الجميلة حافلة الآن بالزخارف والألوان، والشموع العطرة الرائحة التي تشتعل مساءً، والوسائد الحريرية الرائعة وأواني الزهور... كل هذا يجعل من نسيانها ذكر مسألة الاتصال الهاتفي البسيط شيئاً تافهاً... أو هذا ما خطر لها وهي تقول: «سأحضّر لك القهوة أثناء استحمامك».

- لا.

قالت وهي تستدير لتخرج من دون أن تنتبه لنبرة الغضب في صوته:

«شاي إذن!».

لكنها توقفت في منتصف الطريق عندما تبعها صوته إلى الردهة: «عنيت بكلمة (لا)، المقابلة».

- عفواً؟

كانت واثقة من أنها لم تسمع جيداً، والتفتت إليه مقطبة، فعاد يقول: «أنت لن تذهبي إلى المقابلة يا ليلي أو إلى الجامعة. البيت هنا بحاجة إليك».

ضحكت غير مصدقة: «لماذا؟ لكي أتزيّن وأتأنق عندما تعود إلى البيت، ولأدور على المتاجر وأنفق ثروة على شراء الملابس والأثاث؟ لاوافيك على الغداء عندما تسمح أبيغايل بذلك؟ حتى هذا الحديث لا لزوم له معك، يا هانتر. لقد اتفقنا على أن أتابع دراستي وهذا ما سأفعله بالضبط».

وسارت إلى المطبخ وهي تدمدم غاضبة، متوقعة منه أن يلحق بها ثمّ التقطت الصحيفة متظاهرة بالقراءة. وعندما أصبح واضحاً أنه لن يحضر، وسمعت صوت الرشاش في الحمام، تنفست بعمق محاولة أن تدرك ما حدث.

في البداية، سيطر بطريقة ما على وقتها، وأحبط كل ترتيب قامت به. تناول الغداء مع عريسها هو سبب كاف لإلغاء خطة للقاء بعض الأصدقاء. ودعوة مرتجلة لتوافيه في سيدني هو سبب كاف كيلا تمضي يومين في بيت أمها. وقد عارض فكرة أن تشتري سيارة... والآن هذا.

- ليلي؟

لم ترفع بصرها ولم تنظر إليه على الإطلاق حين جلس معها على مائدة الإفطار، بل تابعت قراءة الصحيفة بينما أخذ هو يخدم نفسه بنفسه.

شبكة ليلاس الثقافية
www.liilas.com

- ليلي. أظنك أسأت فهم ما قلته من قبل.

زمّت شفتيها وهي تتابع قراءة الصحيفة وقد توترت، رافضة أن تتحدث في هذا الموضوع.

- عندما قلت إن ليس بإمكانك أن تذهبي إلى الجامعة، ما عنيته هو أنك لست بحاجة لذلك. لقد أجرت أبيغال بحثاً عن هذا الأمر فتبيّن لها أن بإمكانك أن تكملي تعليمك عن بعد.

- عن بعد؟

وأطلقت ضحكة متشككة لا بهجة فيها. فلا شيء يستدعي البهجة هنا، لا شيء على الإطلاق. إنه يريدها أن توافق مرة أخرى على ما يعتبره الأفضل. وبما أنها امرأة مستقلة، فقد رأت جدران سجنها المترف ترتفع من حولها فتحركت بسرعة لتهدمها، لتجعل هذا الرجل يدرك أنها تتخذ قراراتها بنفسها وتفكر بعقلها هي.

- هانتر، ما الذي جعل أبيغايل تتدخل في دراستي؟ إنها مساعدتك أنت، أو المسؤولة عن مواعيدك، أو مهما أرادت أن تدعو نفسها، لكنها لا تعمل عندي أنا. ولمعلوماتك، لا أريد أن أدرس عن بعد. أريد أن أحصل على شهادتي بشكل صحيح.

فقال بصوت متزن للغاية: «لقد درستا هذا الأمر. أنت الآن السيدة الأولى مايلز...».

وظهر فروغ صبر بالغ من خلف اتزانه وكأنه يتحدث إلى طفل في الثانية من عمره وقف في وجهه يتحداه.

فانفجرت تقول: «أنا ما زلت أنا».

- ليس في الأشهر الأحد عشر القادمة.

لمحت في كلامه، قوته واقتداره، والنشاط والحيوية اللذين دفعاه إلى الأمام. ولكن قوته هذه لم تتوجّه نحوها حتى الآن. أو على الأقل، ليس من الناحية السلبية. وتراكمت الشكوك السلبية التي

تجاهلتها، والأسئلة السلبية التي دفعتها جانباً، لتكوّن حفرة سوداء عندما قال لها بحزم ما يتوقعه منها: «بعد مرور أحد عشر شهراً يمكنك أن تفعلي ما تريدين، يا ليلي. أن تجولي في الأنحاء بنطلون جينز قذر مع تلامذتك، لتناقشوا معنى الحياة اللعين، وتضطلعي بكل قضية إحسان تطرق بابك، وتذهبي إلى تلامذتك بسيارة قديمة محطمة. ولكن في الأشهر القليلة القادمة عليك أن تتصرفي وفقاً لنمط معيّن!».

- وفقاً لماذا؟ هيا يا هانتر. وفقاً لماذا؟ أنت تريدني أن أكون سعيدة. تريد أن تعرف بالضبط ما أفكر فيه. تريد أن تنال كافة حقوقك الزوجية على الدوام...

- ألست سعيدة في السرير؟

- غرفة النوم ليست المشكلة.

ووخزته بإصبعها في صدره بغضب ثم أشارت إلى رأسه مرة بعد مرة وهي ترفع صوتها: «المشكلة هنا يا هانتر. أنت تريد مني كل شيء. تريدني أن أكون زوجة حقيقية، أن أكون معك. أن أخبرك بما أفكر فيه، وما أشعر به، ومع ذلك لا تبادلني عطاء بعطاء، لا تمنحني شيئاً من نفسك ولا تخبرني بشيء عنك».

فقال بعبوس بارد كالثلج: «أتريدينني أن أستحصل لك على صك ملكية المنزل؟ عندما عرفتك لم تكوني تملكين شيئاً».

قالت ثائرة، رافضة أن تشعر بالرهبة منه: «أنت لا تملكني».

أذهلها سلوكه، فمن المفروض أن يحمله غضبها وثورتها هذه على التراجع. لكن، وبدلاً من ذلك أدخل رد فعله في نفسها خوفاً لا شعورياً. إذ اشتد سواد عينيه غضباً، والتوت شفتاه اللتان كانتا دوماً رقيقتين بازدراء وهو يقول: «بل أنا أملكك ولا تنسي ذلك».

شعرت وكأنها أصيبت بلطمة. أصابتها قساوة كلماته في الصميم. وتملكها الذهول لحظة، لكنها سرعان ما تمالكت نفسها. وبهياج

وتمرد، واجهته رافعة الرأس رافضة إظهار أي خوف: «أبداً».

كلمة واحدة نطقت بها، لكنها من القوة والاقتناع بحيث حققت هدفها. ولمحت ومضة من الشك في عينيه الباردتين، والصدع الضئيل جداً في دفاعاته عندما لاحظ ثقتها الراسخة ما منحها القوة لتتابع: «فإياك، إياك أن تخاطبني بهذا الشكل مرة أخرى».

كانت شفتاها ترتعشان من التوتر، لكن صوتها بدا واضحاً وهي تتابع: «فلنكن واضحين! أنا سأستمر في عملي، وسأذهب إلى الجامعة، وسأحصل على سيارة. وإذا خاطبتني بهذا الشكل مرة أخرى، فسأخرج من ذلك الباب».

وإذا بذلك الباب يُفتح وتدخل منه أبيغايل أنيقة في بذلتها السوداء. ولا شك في أنها أحست بما في الجوّ من توتر فمنحتهما معاً ابتسامة عريضة: «أزمة!».

فزمجرت ليلي: «نحن بألف خير».

لكن أبيغايل ضحكت: «يسرني سماع ذلك. لكنني، في الواقع، كنت أتحدث عن العمل».

شدت ليلي قبضتيها، غاضبة من نفسها إذ جعلت أبيغايل تشعر بوجود مشكلة.

- إنهم بحاجة إليك في سنغافورة.

- متى؟

كان صوته متزناً، لكن جسده بقي متوتراً. لم يكن شجارهما قد انتهى. وما زال هناك كلام كثير يغلي بينهما فيما كانا يتظاهران بأن الأمور على ما يرام.

- سنأخذ رحلة الساعة العاشرة صباحاً.

ليس ثمة أسوأ من شجار لم ينته بعد. دخلت أبيغايل لتحزم له أمتعته لأنها، بحسب ما قالت بابتسامة عذبة، تعرف تماماً ما يحتاجه هانتر.

وبقيت ليلي واقفة معه في الردهة. كان أحدهما يفتح فمه بين الحين والآخر ليقول شيئاً، لكنه يعود ويغير رأيه، عالماً أنّ ما من شيء يمكن أن يُقال دون أن يصل إلى أذني أبيغايل.

وكان هانتر هو الذي خرق الصمت أخيراً.

- هل ستكونين على ما يرام؟

بدا متعباً للغاية وكأن كل القدرة على القتال قد تلاشت منه. وكانت ليلي على وشك البكاء، لكنها لم تجعله يرى ذلك. من الأفضل أن يظنها ذئبة باردة القلب، من أن يراها امرأة أخرى شغوفاً به.

حتى لو كانت تحبه.

نظرت إليه بعينيها الخضراوين الواسعتين، موجهة إليه الغضب الذي كانت قد حوّلته إلى نفسها، وقالت: «أنا واثقة من أن بإمكاني تنظيم أموري من دونك، يا هانتر. قد تمرّ فترة قبل أن أستطيع وضع جدولاً لأعمالي، أو أختار ملابسي في الصباح من دون أن تفعل أنت ذلك لي، لكنني واثقة من أني قادرة على قضاء أموري بأي شكل كان حتى نعود».

- لا تفعلي هذا، يا ليلي. سنتحدث في الأمر حين أعود. اتفقنا؟

بدا صوته الآن ضعيفاً تعيساً حتى أنها شعرت بالأسف عليه، للرحلة الطويلة ويوم العمل الشاق اللذين ينتظرانه.

ظهرت أبيغايل وعلى شفتيها ابتسامة الهرة، وهي تجر حقيبة هانتر: «هل استقرت الأمور؟».

- نعم.

أومأ هانتر وهمّ بالخروج لكنه غيّر رأيه: «في الواقع، يا أبيغايل، سأقابلك في السيارة».

- إذا أردت أن تلحق بالطائرة يا هانتر، فعلينا أن نتحرك الآن.

فقال مزمجراً: «قلت إنني سأقابلك في السيارة. والآن، هل يمكنني

www.liilas.com

أن أحظى بخمس دقائق من السلام مع زوجتي؟».

عزاء ليلي الوحيد في هذا الصباح التعيس كان نظرة السخط في عينيّ أبيغايل وهي تخرج مرغمة. وعندما أغلقت الباب خلفها، قال: «هذا أشبه بوضع هرة في العاصفة».

وكان هذا الوصف ذكياً إلى حد حملها على الابتسام رغم تعاستها بينما تابع هو يقول: «سأستعيد منها المفتاح اليوم. يمكنها أن تستعمل الهاتف الداخلي كأيّ شخص آخر».

قالت مازحة بفتور وهي لا تزال ترتجف من ذلك الجدل: «لا أطيق أن أراها تقحم نفسها بيننا ونحن نتشاجر».

تخلل شعره بأصابعه. ولأول مرة لم يعد شعره مرتباً، ولم يبدُ هانتر كما عرفته حين قابلته لأول مرة. بدا الإرهاق جلياً عليه، وهاتان العينان المذهلتان حائرتين منهكتين. وكان هذا ما يشعر به بالضبط.

وقفت حذرة مشتتة الذهن متمردة وجميلة إلى حد لا يصدّق و... ضعيفة للغاية.

كره الطريقة التي تصرف بها، كره التقريع الدنيء الذي خرج من فمه، كره تقليله من شأن علاقتهما بهذا الشكل. كل المرح والإثارة اللذان جمعا بينهما أخذا يتبددان مع كل شجار يحدث بينهما. لكن هانتر عاد فذكّر نفسه بأن على الأمر أن يكون بهذا الشكل. كل ليلة أمضياها معاً، كل ضحكة مشتركة، وقبلة مشتركة كانت تشعره بانسجامهما. عنصران مختلفان يشكلّان واحداً بالغ الحلاوة، واحداً مرغوباً إلى حد أن البعاد يعذبه. ولكن إذا كان ضبط النفس مطلوباً، فهو الآن.

إنه يريد أن يبقيها آمنة... آمنة مما قد يحمله المستقبل.

مدّ يده متوقعاً منها أن تجفل، أن تدفعه عنها... لكن الارتياح تملكه عندما أمسك بخدّها فوضعت يدها في يده، فأحس بنعومة بشرتها

تحت أصابعه وداعبت رائحة عطرها الرقيقة أنفاسه.

- ماذا حدث، يا هانتر؟

- لا شيء.

وأغمض عينيه. خرج سؤالها مخلصاً وصوتها رقيقاً إلى حد جعل من المستحيل أن ينظر في عينيها ويكذب. وقالت تصرّ عليه بلطف: «ثمة شيء ما... وإذا كان بإمكاني المساعدة...».

قال بخشونة: «لا يمكنك ذلك».

ومع ذلك بقي يشعر بدفئها، واهتمامها البالغ بأمره... وأفزعه هذا. أراد أن يخبرها بالكثير... أراد أن يميل عليها فتضمه إليها.

- هل هي إيمّا؟ والداك؟

كنت وكأنها تعكس روحه بمرآة.

- أنا بخير.

- هذا الصداع الذي يحدث لك دوماً...

- إنه لا شيء.

- هل تتعاطى شيئاً ما؟

فتح عينيه بسرعة. هذا السؤال المباشر رسم ابتسامة إلى فمه.

- كيف خطرت لك هذه الفكرة؟ أنت تعلمين أنني لا أتعاطى شيئاً.

قالت والقلق في عينيها والرقة في صوتها: «أنا لا أعلم عنك شيئاً».

وتابعت: «أنا لا أرى سوى مزاجك هذا، وصداعك، والألم الذي يبدو أنك تعانيه. إذا ما حدث شيء، فربما عليك أن تخبرني. ربما بإمكاني المساعدة...».

آه، يا إلهي. إنه يريد أن يخبرها، أن يخبرها بما يشغل باله. عما يدفعه إلى إبعادها عنه مرة بعد مرة. وتلعثم لحظة، وفتح فمه ليتكلم، ليقيأ الألم الذي يغلي في أعماقه. ولا بد أنها أحست بضعفه، وبرغبته في أن يخبرها لأن صوتها الرقيق أخبره بأنها قادرة ربما على أن

www.liilas.com

تساعده، فإذا به يتراجع وكأنه تلقى صفعة. وعاودته ذكرى صوت عصا أبيه تضرب بعنف أرض غرفة النوم. عندما عرضت عليه بشكل أعمى أن تساعده، لم يكن هذا كلاماً تافهاً منها كما أدرك هانتر.

لقد أدرك، بثقة شلّته، أنها تعني ما قالته. عليه أن يحميها من نفسه مهما كان الثمن.

- اسمعي. عليّ أن أذهب.

- علينا أن نتفاهم.

- سنفعل ذلك عندما أعود.

وعدها بذلك كاذباً، ثم تابع يقول: «سأغيب ثلاثة أو ربما أربعة أيام. عليّ أن أعود من أجل الحفلة الخيرية يوم السبت... كما أن يوم السبت هو عيد ميلادك».

فأجابت: «هذا ليس أمراً هاماً».

- سأحرص على العودة يوم الجمعة. هل أنت واثقة من أنك ستكونين على ما يرام؟

قالت من دون حقد بل لتؤكد تلك القواعد التعيسة التي اتفقا عليها: «لا يفترض بك أن تقلق لهذا».

وتوقعت منه ابتسامة جافة، لكنها ذهلت حين هزّ رأسه: «هذا ليس سهلاً. أليس كذلك؟».

وبرغم الخصام، وبرغم بداية النهار السيئة، أصبحا الآن أقرب إلى بعضهما البعض مما كانا عليه من قبل. وفي تلك اللحظة لم تستطع الإدعاء، لم تستطع أن تدعه يذهب إلى الطائرة من دون أن تبوح بالقليل مما في قلبها.

وقالت تعترف: «لا، ليس سهلاً. ربما لو كنت خليلتك فلا نرى بعضنا البعض إلا مرة في الأسبوع لاستطعنا أن نعبث بالقواعد. ولكن أن نعيش معاً ونحـ...».

وابتلعت الكلمة لتغيرها بسرعة إلى: «ونضحك معاً ونتعارف أسرتانا، يصبح عدم إهتمامنا ببعضنا البعض مستحيلاً».

أومأ متعباً، مظهراً التفهم ما شجعها على أن تتابع: «أنا قلقة عليك. أرجوك أن تخبرني بما يحصل».

- لا شيء.

عندئذ، اسودّت الزوبعة الصغيرة التي تتراقص في أفقهما. وفجأة، تملكها الخوف عليه، وأدركت أنه يكذب فقالت برقة: «لا أصدقك».

فقال بمزيد من الحزم، رغم أنه بدا وكأنه يريد أن يقنع نفسه قبل أن يقنعها: «أنا متعب فقط، كما أظن. لا أستطيع احتمال فكرة الركوب في طائرة أخرى، والنزول في فندق آخر».

- هل أنت مضطر للسفر اليوم؟

- نعم.

قالت بعد أن امّحى كل أثر للغضب بينهما: «وكذلك أنا».

وأومأ: «هذا أمر عليّ أن أقوم به».

وتصاعد رنين الهاتف الداخلي. إنها أبيغيل من دون شك تفسد عليهما هذه اللحظة النادرة من التقارب، فتحرك هانتر للذهاب مرغماً وتقدم يمنحها قبلات غاية في الرقة والقصر قبل أن يحمل حقيبة أوراقه ويتجه إلى الباب حيث وقف والتفت إليها قائلاً وقد بدا أنه عاد هانتر القديم: «ليلي، عندما ينتهي كل هذا، أتظنين أن بإمكاننا أن نتدبر ذلك؟».

- تتدبر ماذا؟

- أن تكوني خليلتي الرائعة فنخرج معاً مرة في الأسبوع وبشكل رائع؟ أعني أنا أعرف أننا قلنا إننا سننهي ذلك، ولكن...

- هل أنت قلق خوفاً من أن تفقدني؟

ورفعت حاجبيها تغيظه مداعبة، حتى أنها لوحت له بيدها عندما

www.liilas.com

خرج من الباب، لكن قلبها كان يخفق بقوة. شعرت بالارتياح تقريباً عندما ذهب لأنها استطاعت أن تتنفس بعد أن كانت تحبس أنفاسها، ثم جلست على الأريكة لكي تستجمع أفكارها.

لقد اتفقا على أن يفترقا في نهاية العام. اتفقا على أن يبتعد كل منهما عن الآخر بقية حياتهما. وسواء كان هذا مزاحاً أم لا، فقد لمّح هانتر إلى أنه لا يجد هذا الأمر سهلاً. بدا لها وكأن الأرض اهتزّت فجأة تحت قدميها. القواعد التي كانت ثابتة تماماً ذابت كالثلج في الشمس. إنما لم تكن هي وحدها التي تهزأ بها وتتخطاها.

١٢ - خوف من المستقبل

- تهاني يا ليلي.

صافحة ليلي أستاذها المعجب بها للغاية بعد انتهاء المقابلة وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة واسعة وهي تغادر مكتبه إلى الإدارة.

لقد عادت. عادت إلى مكان كانت فيه الحياة رائعة، إلى وقت لم يكن أبوها قد توفي بعد، وقبل أن تجد تلك الرسائل التعيسة التي حطّمت عالمها. عادت إلى المكان الذي تنتمي إليه.

والفضل في ذلك يعود لهانتر.

بقدر ما اعترض على عودتها هذا الصباح، كان هو من اقترحها، كما أخذت تفكر وهي تملأ الأوراق الرسمية التي لا نهاية لها. هانتر هو الذي جعل ذلك ممكناً وساعدها على تحقيق أعز أحلامها. ولهذا، ستبقى شاكرة له على الدوام.

قالت وهي تناول موظفة الاستقبال الأوراق: «الأوراق المتعلقة بالمصرف مفقودة. أحب أن أدفع الأقساط شهرياً من فضلك».

فأجابت الموظفة وهي تطبع ورقة وتناولها إياها: «القسط مدفوع. لقد اتصلت بنا مساعدة زوجك هذا الصباح».

ومدت يدها تتناول سماعة الهاتف الذي ارتفع رنينه: «آسفة، عليّ أن أجيب على هذا».

لقد دفع الحساب كله.

واغرورقت عيناها بالدموع وهي تقرأ الورقة الرسمية. لقد دفع

كتب وروايات مكتبة القلاس الثقافية
www.alqalas.com

الرسوم كلها، حتى أنه وضع رصيداً ثمن كتب. لم تكن النقود هي التي حركت مشاعرها بل الفكرة في حدّ ذاتها. المجوهرات، السيارة، المنزل... لا شيء من هذا يمكن مقارنته بهذا. العلم، بالنسبة إليها، أروع. فبازدياد علمها يمكنها أن تساعد الآخرين.

أثناء الأسابيع القليلة الماضية، انشغلت مجموعتها كلها بقضية عودة جيتي إلى تعاطي الشراب.

- أنا أعرف ما تفكرون فيه جميعاً. ولكن لا شيء يشبه ذلك.

سألتها ليلي والصمت يلف المكان: «لا شيء يشبه ماذا، يا جيتي؟».

وأخذت جيتي تدمدم غاضبة وهي تنظر إلى ليلي التي تقبّلت كلام المرأة الهائجة: «ها أنتذي تجلسين هناك، بثوبك الفاخر، وسائق سيارتك ينتظرك في الخارج، ثم تخبريننا عن أخطائنا جميعاً. لا تحملين همّ المصاريف والأطفال و...».

وأخذت تعدد همومها ودموعها تنهمر حتى هدأت في النهاية لتقول أخيراً والذعر في صوتها: «لا أريد أن أعود إلى هناك».

كان السائق لاكلان ينتظرها في موقف السيارات، فاندفع يدور حول السيارة ليفتح لها الباب. لوّحت له بيدها تطلب منه أن يرتاح: «أنا ذاهبة لأتسوّق، وسأتمشى».

- هذا حسن. أتريدينني أن أنتظرك هنا، يا سيدة مايلز؟

قالت شاعرة فجأة بالشجاعة وقد أدركت ما عليها أن تفعل: «شكراً يا لاكلان، لكنني لن أحتاجك اليوم».

زبائنها القلقون يعطون، من دون تعمّد، ما يأخذون بالضبط. ما دام بإمكان جيتي أن تواجه مخاوفها، فيمكنها أن تفعل ذلك هي أيضاً.

- سأذهب إلى البيت بنفسي.

* * *

- تهاني، يا سيدة براون!

إنها المرة الثانية التي تتلقى ليلي فيها التهاني وتصافح يد دكتور آخر، وتوجهت هذه المرة إلى مكتب الاستقبال لتدفع أجرة الكشف. خرجت إلى شارع المدينة المزدحم، وأخذت تنظر إلى العالم الذي استمر في مسيرته بشكل طبيعي بينما عالمها بأجمعه يتزعزع. وجدت نفسها تبتسم، تبتسم حقاً. الخبر الذي خشيته، الذعر الكلي الذي تملّكها كلما تجرأت على التفكير في هذه اللحظة، تبدّد بشكل غريب. وضعت المستقبل جانباً للحظة، وركّزت اهتمامها على الحاضر. إنها حامل وبطفل هانتر. حتى لو كان هذا آخر ما فكرت فيه، وآخر ما أرادت أن يحدث، إلّا أنها لم تشعر بأنها خُدعت أو وقعت في الفخ. مهما كانت رد فعل هانتر، شعرت في أعماقها بأن بإمكانها أن تتدبر الأمر. ستكون هي والجنين في أحشائها، على ما يرام. حدّقت في السماء، تنظر إلى طائرة متجهة إلى مكان ما، فتلاشت الابتسامة عن شفتيها، وتملكتها قشعريرة خوف.

لا يمكن أن يستمر هانتر على هذا النحو. لقد بدأ التعب يظهر عليه. برنامج حياته القاسي الذي لا ينتهي، والنشاط الذي لا يتوقف...

والمزاج السوداوي الذي يتملكه فجأة من دون سبب... الإرهاق الخالص الذي يتملكه أحياناً..!

هي والطفل سيكونان على ما يرام. فهي ليست أول ولا آخر امرأة تواجه حملاً لم يخطط له، كما أن لديها من الحب ما يكفي لتغمر به طفلها.

لا... إنها لا تشعر بالخوف على الطفل ولا على نفسها... بل على هانتر.

www.liilas.com

١٣ - ترى من تصدّق؟

قالت إيمّا وهي ترفع بصرها إليها: «تبدين رائعة».

كانت مرحّب بها دوماً أكثر من أيّ زائر آخر، وعادة كانت ليلي تسعد كثيراً برؤيتها.

لكن هذا المساء ليس كأيّ مساء آخر، وهذا لا يعني أنها أخبرت إيما بذلك!

قالت إيمّا: «أرجو ألّا أكون قد عطلت عليكما مشاريعكما».

وتحولت عيناها إلى طاولة رُتبت بشكل بديع، فيما فاحت رائحة لحم الخروف المشوي من المطبخ. أضافت: «يا لغبائي! أنتما لم ترَيا بعضكما البعض منذ أيام... سأذهب...».

- لا تكوني غبية. أنت لم تعطّلي علينا شيئاً، لأن هانتر لم يعد بعد. لقد اتصل بي وقال إن لديه مشكلة في الجمارك.

- لكنه انتهى من الجمارك منذ ساعات. اتصلت به وهو...

وتلاشى صوتها، ربما لأنها لاحظت ارتباك ليلي. وأخذت بسرعة تطمئنها: «لا بد أنني أسأت السمع. قال إنه على وشك أن يخرج».

هزّت ليلي كتفيها محاولة أن تضفي بعض المرح على صوتها فيما إيما تدفع كرسيها على الأرض الملمعة: «ربما. أو لعله مر بالمكتب في طريقه إلى هنا ونسي الوقت».

- حسناً، إنه غبيّ إذن... لأنك تبدين مذهلة الجمال.

وكانت ليلي تشعر بذلك منذ ساعات. وهذا لا يعني أنها شعرت

بالذنب لأنها اشترت ثوباً من أرق وأنعم أنواع الكشمير الأسود يصل إلى ما فوق ركبتيها بالضبط ويلتصق بجسمها وكأنه جلد ثانٍ لها.

أين عسى يكون هانتر الآن؟ مضت خمسة أيام وأربع ليالٍ منذ غادر إلى سنغافورة، منذ وعدها بأنهما سيتفاهمان. مرة بعد مرة كانت ليلي تتساءل عما لديه ليقوله بينما هي تفكر كيف ستطلعه على خبرها الضخم.

- أردت فقط أن أطمئن إلى أنه بخير...

وجذبت إيما نفسها من الكرسي لتستلقي على الأريكة، شاكرة ليلي باسمة عندما أبعدت الكرسي عن الأنظار. فإذا ما غابت الكرسي عن النظر، يمكن لإيما أن تنسى وجودها لحظة، فتجلس على الأريكة في بيت أخيها وتبدأ بالثرثرة مع عروسه ناسية إعاقتها. وغياب الكرسي يساعد ليلي أيضاً... إذ ينسيها أحد الأسباب الحقيقية لوجودها هنا.

وعادت ليلي تجلس بجانب إيما لتستأنفا الحديث.

- لم أكن واثقة من حاله خصوصاً وهو في سنغافورة، لأن هذا اليوم هو ذكرى أبوينا السنوية.

لحسن الحظ أنّ ليلي كانت تدير ظهرها لإيما ما منع هذه من أن ترى الصدمة على ملامحها بعد أن أدلت بهذه التفاصيل التي من المفروض أن تعرفها أي زوجة حقيقية.

- لا بد أن الأمر صعب عليه وهو يرى نفسه بعيداً...

وأخذت ليلي رشفة من الماء شاعرة بجفاف بالغ في حلقها وهي تبتلع آخر المعلومات عما يحدث في حياة زوجها. وعادت تقول: «عدا عن مخابرة سريعة من المطار قبل أن يمتقل الطائرة، لم أتحدث معه كما يجب. إنني حقاً لا أعرف أحواله الآن».

- كنت أنظر إلى ساعتي طوال اليوم. يمكنك أن تتصوري حالتي، ففي مثل هذا اليوم من السنة الماضية، كنت أسير على قدميّ. في

الواقع، وفي هذه اللحظة بالذات كنت في سنغافورة أنا أيضاً، أتحدث مع أمي وأبي وهانتر، وقد تبرّجت في انتظار الصعود إلى خشبة المسرح.

- في سنغافورة؟

كانت إيما أكثر حزناً من أن تلحظ الارتباك في صوت ليلي.

- في أي ليلة أخرى كنت لأستقل سيارة أجرة مع بعض الأصدقاء لنذهب إلى مكان بهيج لنأكل.

وأغمضت إيما عينيها بأسف ومرارة محاولة أن تستجمع نفسها ثم عادت تقول: «مهما بلغ عدد المرات التي أتذكر فيها تلك الليلة، فأنا أعلم أن هذا جزء بسيط من عدد المرات التي يقوم بها هانتر بذلك ملقياً اللوم على نفسه».

شعرت ليلي بأصابع الخوف تنغرز بقلبها بينما تابعت إيما تقول: «هذه الحفلة الراقصة التي سنذهب إليها غداً. . .».

- ظننتك لن تذهبي.

- لكنني سأذهب. لم يسبق لهانتر أن فعل شيئاً من باب الاحسان وها هو ينظم فجأة هذه الحفلة لمساعدة البحوث العلمية في مجال الإصابات في العمود الفقري. . .

سألت ليلي مكررة الجملة التي أغفلها هانتر: «البحوث العلمية؟».

- إنه يظن أن بإمكانه أن يسوّي هذا الأمر بشكل ما. يظن أن بإمكانه أن يصلح ما حدث. بإمكانه أن ينكر كما يشاء، لكنني أعرف أن هذا يذويه.

قالت ليلي محاولة أن تعرف المزيد من دون أن تكشف مقدار جهلها: «لكن ما حدث لم يكن ذنبه!».

صمتت لحظة ثم أردفت: «كان الحادث قضاءً وقدراً، وهو لم يكن يقود السيارة بنفسه».

- الحمد لله أنك هنا لتستمري في قول هذا له.

وابتسمت إيما ثم تابعت: «إلى أن جئت أنت، كان يسير في طريق نحو الكارثة. إنه لا يتحدث معي عما جرى بل يدفن نفسه في جدول مواعيده السخيف، وفي حياة اجتماعية أكثر سخافة. أعلم أنه لا يزال يعمل بطريقة مسعورة هائجة، لكنه، على الأقل لديه أنت ما يجعله يعود إلى البيت. أنتما الآن تفضيان إلى بعضكما البعض بكل شيء».

لم تقل ليلي أنه لا يفضي إليها. وفي كل مرة تتطرق فيها إلى هذا الموضوع، يتجنبه هو بأي شكل. إنه موضوع خطير. وقد عرفت هذا الآن. وراحت ليلي تنظر إلى ساعة الحائط الآن، متمنية لو تراه، وتتحدث إليه. متمنية لو يدعها تساعده. . .

متمنية لو تعلم ما الذي حدث تلك الليلة.

- في الواقع، ما زلت لا أصدق ذلك.

فسألتها ليلي: «لا تصدقين ماذا؟».

كانت ترغم ذهنها على الابتعاد عن هانتر والبقاء مع إيما.

- ليس فقط أنّ أخي الأعزب إلى الأبد قد تزوج، بل أيضاً أنني أحببت من اختارها.

قالت ليلي مازحة: «أراهن على أنك تقولين هذا لكل الفتيات».

- لقد عرف هانتر صديقات كثيرات وهذا أكيد.

وضحكت إيما، لكنها أحست بأنها لمست وتراً حساساً فسكتت: «لكنه تزوجك أنت، يا ليلي، فلا تنسي هذا أبداً. عليك أن تنظري إلى نفسيكما معاً لتري كم أنتما شغوفان ببعضكما البعض».

لا بد أن أيمّا غبية في الحكم على الآخرين كحال أمها. لكن محاولة إيما مواساتها كانت مخلصة فهي تعتقد حقاً أن زواج أخيها منها كان نتيجة حب.

- هل أخبرك بشيء يا ليلي وتبقيه سراً بيننا؟

سألتها ليلي متوترة: «بيننا فقط؟».

- أفضل ألّا تقولي شيئاً لهانتر. أعلم أنه لا يحق لي أن أطلب منك ذلك... لكنني أرجو أن نكون أكثر من مجرد نسيبتين. أرجو أن نكون صديقتين أيضاً.

يا إلهي، إنها لم تتصور هذا قط. عندما وافقت على الزواج، لم تفكر في أنها ستحب قريبات هانتر. إنها شغوف بإيما، ولو كان هذا زواجاً حقيقياً، وإيما هي أخت زوجها فعلاً وعلى وشك أن تبوح لها بأسرارها... على وشك أن تدعوها لدخول عالمها، لشجعتها على ذلك، لكنها وبدلاً من ذلك، تراجعت. وبدلاً من أن تميل إلى الأمام تمتمت بشيء عن تناول بعض الشراب ثم ذهبت إلى المطبخ ففتحت بعض علب العصير الطازج آملة أن تكون إيما قد تمالكت نفسها وتجاوزت لحظة شعورها بالتقارب والصداقة والثقة.

لكن هذا لم يحدث، لأن إيما قالت لها بشيء من الحماسة: «أنت تعلمين أنني أرى جيم كثيراً، و... ليلي، أظن أنه هو».

- هو؟

قالت إيما وهي تقهقه بصوت خافت: «نعم. إنه هو. لا أصدق أنني أفكر في ذلك، فكيف بالاعتراف به؟ إنه محيّر. لأول مرة في حياتي أشعر بأن رجلاً يحبني لنفسي. وأنا لا أتحدث عن مرحلة ما بعد حادثة الاصطدام. لم يتملكني مثل هذا الشعور قط من قبل. لم أقابل يوماً رجلاً يمكنني أن أكشف عن مشاعري له بهذا الشكل وأحبه من دون خجل..».

ونظرت إلى ليلي، متوقعة منها أن توافقها على ذلك، لكنها ذهلت حين لم تبدِ أيّ ردّ فعل، فقالت: «لا يبدو عليك السرور».

- بل أنا مسرورة طبعاً. ولكن فقط...

ودست ليلي أصابعها في شعرها مفكرة: «إيما... أنت لم تعرفيه

إلا منذ شهر».

فقالت إيما ضاحكة: «لكنك عرفت هانتر قبل الزواج بأسبوعين فقط. إذا كان هناك من عليه أن يتفهم علاقة أو زواجاً سريعاً كهذا، فهو أنت».

أنقذ ليلي من الجواب وصول هانتر. وضاقت عيناها بقلق وهو يدخل وقد اغبّر لونه وبدا عليه الإرهاق البالغ لكن ما زال لديه من الحيوية ما ملأ الغرفة.

- مرحباً، يا حبيبتي.

حيّاها بملل ثم التفت إلى إيما وقبلها على خدها. وانقبض قلب ليلي لأن القبلة ليست لها، هي التي كانت تتلهف سراً إلى لقاء أكثر حناناً. وكان يقول لإيما: «لم أكن أعلم أنك هنا... كانت الجمارك كابوساً لعيناً».

فقالت إيما بعطف: «مسكين! لا بأس. كنت أنا بصحبة عروسك الجميلة... لا بد أن يفعل هذا شخص ما. آه، مرحباً إيغايل!».

ودخلت المرأة وهي تبدو وكأنها خارجة من صالون تجميل وليس من طائرة. كان شعرها وزينة وجهها من دون عيب، وبذلتها خالية من أيّ ثنية. ورفعت هذه حاجباً وهي تتفحص الغرفة ثم ليلي وعلى فمها شبه ابتسامة متكلفة، ثم فتحت حقيبتها وأخرجت منه الكمبيوتر المحمول: «أتريدني أن أرى إذا كانت تلك الأرقام موجودة يا هانتر؟ هكذا يمكنني أن أجهز التقرير لاجتماعك الصباحي».

- أرجوك.

وتثاءب هانتر من دون أن يغطي فمه، ثم طبع قبلة عشوائية على خد ليلي وهو يكاد لا ينظر ناحيتها. ساعات الاستعداد التي أمضتها بانتظار هذه اللحظة، وبهجة توقع لقاءها، تبددت عندما تجاهلها هانتر وأخذ يثرثر بمودة مع إيما. وفجأة، شعرت وكأنها غريبة في بيتها المؤقت

www.liilas.com

هذا، فوقفت وسارت إلى المطبخ لكنها لم تجد فيه أي سلوى. كانت أبيغايل قد سبقتها إليه وأخرجت اللحم من الفرن وأخذت تقطعه إلى شرائح.

سألتها إيبغايل وعلى فمها إبتسامة حلوة مصطنعة: «هل لديك مانع؟ إن هانتر جائع».

لكن ليلي لم تشأ أن تستخدم كلمات جارحة، رافضة أن تبخس من قدر نفسها وهي ترى العشاء الشهي الذي جهزته بحب يقطّع أمام عينيها، وقالت بوضوح: «افعلي ما تشائين. بعد أن أمضي الأمسيّة في الجمرك، لا بد أنه يريد أن يأكل ثم يذهب إلى السرير».

– الجمرك؟

والتفتت إيبغايل إليها وهي تغضن أنفها الجميل: «الجمرك؟ لا أدري عما تتحدثين. لقد انتهينا من الجمرك في خلال خمس دقائق».

* * *

قال حين أغلق الباب خلف الضيفتين غير المدعوتين: «ظننتهما لن تذهبا أبداً».

الآن وبعد أن أصبحا وحدهما، وبعد أن لم يعد ثمة من يلهيه، غمرها باهتمامه. أخذها بين ذراعيه ودفن وجهه في عنقها، وهو يضمها بعنف، تماماً كما كانت تتصوّر لقاءهما... لكنه جاء متأخراً ساعات عدة وبعد كثير من الألم.

قال متأوهاً: «يا إلهي، أنا مرهق، يا ليلي».

واكتفى لأول مرة بأن يضمها إليه، مائلاً عليها تقريباً... أغمضت عينيها من دون أن تبدي أيّ مقاومة، عالمة أن هذا اليوم كان قاسياً عليه مهما أنكر ذلك. كان هذا النهار مؤلماً، ومن السهل عليها أن تؤجل مشاعرها الليلة... وأن تتجاهل الأسئلة التي كانت تنز في ذهنها وتحرمها الراحة التي تتلهف إليها. لكنها كانت تعلم أنها لا تستطيع أن

تفعل ذلك طويلاً. لا يمكنها أن تقيم علاقة حميمة معه من دون أن تكشف مشاعرها... لا تستطيع أن تمنحه جسدها حتى ولا ليلة أخرى.

لا تستطيع أن تكون الزوجة التي يريدها.

– أريد أن أنظف المكان.

وحاولت أن تتخلص منه لكنه تشبث بها وهو يتمتم: «ستأتي عاملة التنظيف في الصباح. دعينا نذهب إلى السرير لأن عليّ أن أستيقظ في الساعة السادسة».

لكنها تلوّت وخرجت من بين ذراعيه، ثم أخذت ترفع الكؤوس والأطباق عن المائدة.

– دعيها، يا ليلي.

تجاهلته وهي تحمل الأطباق، وتحدّق في بقايا العشاء الذي أعدته بعناية ففرمته أبيغايل قطعاً صغيرة، وكان هانتر قد تبعها إلى المطبخ قائلاً: «أيمكننا أن نذهب إلى السرير؟».

– أنت لا تحتاج إذناً مني لتذهب إلى السرير، يا هانتر.

فتحت الصنبور: «اذهب أنت وسأوافيك عندما أصبح مستعدة».

– آسف لأنني تأخرت فأفسدت العشاء.

كان صوته متوتراً. كل كلمة نطق بها خرجت من بين شفتين متوترتين: «وآسف لأن إيما وأبيغايل تأخرتا طويلاً لكنني أمضيت يوماً مريعاً. والآن، أريد فقط أن أذهب إلى السرير... مع زوجتي!».

راح يصيح فعلاً وصوته يرتفع مع كل كلمة، وأي رجاء لدى ليلي لتجنب مواجهة هذه الليلة تبدد. كانت عيناها، كعينيه، تلتمعان غيظاً وهي تلتفت لتواجهه وقد ثار غضبها لظنه أن كل ما ساءها هو احتراق العشاء... ويظنها حقاً بهذا الغباء. وسألته: «أين كنت بعد ظهر هذ اليوم؟».

- ماذا؟
- سمعتني.
- ما هذا؟

وهزّ رأسه وهو يشخر مشككاً. أغضبها أن يرى أنه لا يحق لها حتى أن تسأل، وأنه يجرؤ على التفكير في أن عليها فقط أن تتبعه بخنوع إلى السرير من دون أن تعلم في أي جهنم كان.

- لقد وصلت طائرتك في الثالثة وقلت أنت لإيما إنك تأخرت في الجمارك.
- أهكذا؟

وأولاها ظهره وسار مبتعداً. إذا كانت دراستها لعلم النفس قد علمتها شيئاً فهو أنّ تصرّ على الموضوع وتعالج الحقائق إذا ما تعاملت مع شخص يحاول التهرب من موضوع ما. وها هوذا هانتر يتهرب محاولاً أن يغير الموضوع مجيباً على كل سؤال مباشر باتهام منه. وأدركت ليلي وقلبها يهبط، أنه يكذب عليها: «دخلتَ من الباب قائلاً إن الجمارك كانت جحيماً، مع أن أبيغايل قالت لي في المطبخ إنك مررت بها خلال خمس دقائق».

فقال هازئاً: «أين النسخة الأصلية؟ لم أكن أدرك أنك تسجلين كل ما أقوله».

- أين كنت يا هانتر؟

فزأر قائلاً: «أدفع ثمن ثوبك الجديد. أدفع لبيتك ولمصمّم الديكور الذي سيأتي ويغير هذه الشقة حسب ذوقك. ألم يخطر في بالك قط أنني اضطررت ربما إلى الذهاب إلى مكتبي؟».

لمعت عيناها بالدموع لكنها قاومتها وبحّ صوتها لفيض المشاعر: «اتصلت بمكتبك فلم أجدك وهكذا...».

- وهكذا افترضت أنني كنت في وضع حميم مع أبيغايل. وأنني إذا

لم أكن أنتظر اتصالك لأجيب عليه، فلا بد أنني خرجت لأتصرف بشكل غير لائق.

- أين كنت يا هانتر؟

إنها المرة الثالثة التي تكرر فيها السؤال نفسه. لكن التدريب على ذلك لم يجعله أسهل. كل جواب مراوغ منه كان يزيد من انغراز السكين في قلبها. لم تصدق أنها، ومنذ ساعات قليلة فقط، كانت تخطط لأن تخبره بحملها أمام عشاء رائع محضّر في البيت، ولأن تصرّح له بحبها. كانت هذه خطتها حتى لحظات قليلة، فقد كانت تثق به. قال ببرودة: «لماذا تزعجين نفسك بسؤالي بينما سبق وحكمت عليه؟».

- أنت قلت إنك ستكون مخلصاً.
- وأنت قلت إنك ستكونين ممتعة مسليّة.

هزّ كتفيه إزاء الصدمة التي بدت عليها. كان الغضب قد امّحى من صوته الآن. وتمنت لهذا الغضب أن يعود لأنه أفضل من هذا الازدراء البارد، ونبذه البالغ لها: «من كان يعلم ما أوقعنا نفسينا فيه».

- أيها الحقير!
- هذا ما يبدو.

واستدار ليذهب ثم غير رأيه والتفت يواجهها وقد عاد الغضب إلى عينيه: «ألم يخطر في بالك قط أن ثمة سبباً آخر لتأخري غير أبيغايل؟ ألم تفكري قط أن هذا اليوم هو ذكرى وفاة والديّ السنوية؟ ولعلي كنت حزيناً فذهبت إلى المقبرة؟».

تملكها الشعور بالذنب، لكن هذا لم يخفف من ألمها ويطرد التفكير في استحالة العيش معه بل أثبت اقتناعها بأنه يخفي عنها سراً ما. وكان صوتها مليئاً بالمشاعر وهي تجيبه أخيراً: «كيف، يا هانتر؟ كيف يمكن أن يخطر في بالي هذا كله بينما أنا لا أعلم حتى أن هناك

شبكة ليلاس الثقافية
www.liilas.com

ذكرى سنوية؟ كيف يمكنني أن أفكر في ذلك بينما أنت لم تخبرني حتى أن الحادث وقع في سنغافورة؟ أين كنت اليوم؟ أنت لا تخبرني أبداً عما تشعر به أو تفكر فيه أو عما حدث. . .».

- أخبرتك لتوي أين كنت. أخبرتك لتوّي عن شعوري. . .

- ولكن بعد ماذا؟ بعد أي مواجهة جهنمية بيننا؟

راحت تبكي، ودموعها الساخنة تجري على خديها وهي تحاول أن تواجه هذا الرجل الصعب: «لا أظن أنّ بإمكاني أن أفعل هذا بعد الآن. لا أظن أنّ بإمكاني الاستمرار بهذا الشكل، يا هانتر. لا أستطيع أن أستمر في العطاء من نفسي من دون مقابل».

ورغم أن هذا كان توسلاً منها للمساعدة، للتفهم، لكي يجلسا معاً ويعيدا صياغة القواعد التي اتفقا عليها، إلّا أنه كان مواجهة أيضاً، لأنه إذا كان يشعر نحوها بشيء من العاطفة، فقد حان وقت إظهاره. إذا أراد مستوى جديداً من الإلفة والمودة فعليه أن يخبرها الآن. وتابعت: «ولا أدري إن كنت أستطيع مشاركتك سريرك. . .».

- اسدي لنا معروفاً إذن ولا تنامي معي. أظن أن اثني عشر شهراً أصبحت مدة طويلة، حتى اثني عشر أسبوعاً تبدو مدة طويلة.

انفجر بهذه الكلمات القاسية واللهجة النافرة، فسالت دموعها بغزارة وهي تستوعب كلماته، وهمست: «هكذا إذن؟».

هز كتفيه: «إنمّا تبدو أكثر سعادة، والمستثمرون يضحكون مبتهجين. . .».

وضحك ضحكة صفراء مضيفاً: «ولديك أكثر مما كنت تهدفين إليه».

كادت تخبره أنها تحبه. لم تستطع أن تصدق أنها ومنذ ثوانٍ فقط، وحتى أثناء الشجار الغاضب، كانت مستعدة للمغامرة بهذه الخطوة، لأن تكشف له عن آخر قطعة من نفسها. لكنه غيّر المعادلة ببعض

الكلمات القاسية. . . وحشيته، لا مبالاته، قسوته المفزعة، حدّثتها بكل ما لا تريد أن تعرفه.

لم تتكلم. ولم ترد أو تبدِ أيّ رد فعل عندما هز كتفيه وتوجه إلى السرير. الصدمة الباردة التي سبّبها لها مكنتها من أن تواجه الحقيقة المرة.

ما من شيء يستحق الألم الذي سببه لها. . . لم يكن الحب يبهر النظر إلى الحد الذي يعميها عن رؤية قسوة كلماته.

وبذهن مشتت، رفعت فنجان القهوة الذي كان يشربه وأخذت تشمه، ثم سارت إلى المطبخ، وهي لا تصدق ما تفعله. أخذت تفتح الخزائن وهي لا تدري ما تفعل. . . كحول، حبوب، أي شيء تعاطاه الآن وهو يفسر سلوكه هذا. وأخذت تبحث في جيوب سترته عن أدلة لم توفقت. لا يمكنها أن تستمر على هذا النحو، ليس فقط من أجلها بل من أجل الجنين أيضاً.

وكشخص يسير في نومه، سارت إلى الأريكة حيث تكوّرت وأخذت تنظر من حولها في الظلام، ويدها على بطنها وكأنها تحمي الحياة الصغيرة في داخلها. لقد أدركت أن حماية جنينها تعود إليها الآن.

www.liilas.com

١٤ ـ لو كان يحبها

- عيد ميلاد سعيد.

بعد ما حدث الليلة الماضية، لم يكن هذا القول ملائماً على الإطلاق، لكنه قيل بلهجة ساخرة فيما تنهد هانتر وألقى بنفسه على الأريكة التي نامت عليها، فلم تستطع ليلي إلا أن تبتسم ابتسامة شاحبة، وهو يتابع قائلاً: «ستتهمني أبيغايل بأنني أصبحت مخيفاً مرة أخرى».

وأخذ يمسّد صدغيه، وأغمض عينيه الزرقاوين وهو يعتذر... مرة أخرى: «آسف».

وتنشق الهواء بعمق رغم أن شفتيه بدتا شاحبتين قليلاً. وأخيراً فتح عينيه ونظر إليها: «لا أستطيع، في الواقع، أن أتذكر كل ما قلته الليلة الماضية لكن أظنني تجاوزت حدودي كثيراً».

- هذا صحيح.

وابتلعت ريقها غير قادرة على النظر إليه، خوفاً من أن تسامحه. وتملّكها الرعب لأنها ما زالت تحبه.

قال: «عندما قلت الليلة الماضية إنك لا تستطيعين الاستمرار في...».

فقاطعته بسرعة خوفاً من أن تلين، وأن تنسى ألم الليلة الماضية مع فجر اليوم الجديد: «وكنت أعني ذلك. هانتر، لا أستطيع القيام بذلك بعد الآن».

- أعرف أنك لا تستطيعين.

وأمسك بيدها فأدركت أن عليها أن تجذبها من يده وإلا تتصالح معه ولو قليلاً. لكن، وبشكل ما، كان عليها أن تتشبث به وهي تستجمع قواها لتتركه بينما هو يتابع قائلاً: «وأنا أيضاً لا أستطيع يا ليلي».

- هكذا إذن.

وتنفست بعمق وهي تتمالك نفسها، تريد أن تتجاوز هذه الفترة من دون دموع حتى تصبح وحدها فتذرف نهراً منها. وقالت، موجهة الحديث إلى نفسها أكثر مما هو إليه: «اسمع. أعلم أن علينا أن نتفاهم، وأعلم أنّ علينا أن نتفق على ما ينبغي أن نقوله للآخرين وما شابه. لكن هل يمكننا أن نؤجل هذا يومين فلن أكون هنا حين نعود؟».

- كلا.

كان هانتر هو الذي هز رأسه الآن، بينما يده تمسك بيدها: «بعد الليلة الماضية، يمكنني أن أفهم تماماً أنك تريدين أن ترحلي. لكن علينا أن نتفاهم أولاً. أعلم أنني فاشل حين أتحدث عن مشاعري، ولكن، ربما...».

فقالت بحدة وهي تنظر إليه: «كلا! لا أستطيع الاستمرار على هذا الحال، يا هانتر».

كررت قولها هذا لكي يفهم، ويرى أنها لا تستطيع احتمال المزيد من الألم وتابعت: «أنا أعرف أنك ذهبت إلى المقبرة، ولكن لفترة أربع ساعات؟ ومع أبيغايل؟».

وهزت رأسها مستنكرة.

فأغمض عينيه: «لا بأس. لم أكن فقط في المقبرة».

- أين كنت إذن؟

- اسمعي يا ليلي. كان نهار أمس يوماً سيئاً بالنسبة إليّ. كان سيئاً

شبكة ليلاس الثقافية
Eman
www.liilas.com

حقاً، وأنا أعرف أنني آلمتك، وأنني لم أكن منصفاً معك. لكنني أؤكد لك أن ما من شيء بيني وبين أبيغايل.

- أي كذبة عليّ أن أصدق؟ تلك المعقولة أكثر، أم تلك التي تجعل الأمور أفضل...؟

- نحن بحاجة للتفاهم. علينا أن نكون صادقين.

فانفجرت غاضبة: «لكنني كنت صادقة معك!».

لكنها سرعان ما هدأت واستندت إلى الخلف تاركة له فرصة ليتابع كلامه وهو يضغط يدها حتى أخذت تؤلمها: «أريدك أن تستمري في صدقك. أريدك أن تنتظري حتى نتفاهم قبل أن ترحلي. ستكون أبيغايل هنا بعد دقائق. أريد أن أذهب وأنهي تنظيم أمور الحفل الراقص الليلة. أريد أن أنهي هذا. أرجوك أن تحضري الحفلة، يا ليلي. ثمة واجبات كثيرة عليّ القيام بها الليلة ولا أستطيع أن آخذ أحداً. أرجوك أن تأتي وتقفي إلى جانبي. بعدئذ، سنتفاهم».

- لا أدري...

وهزّت رأسها بعجز، خائفة من البقاء. لكن فكرة الرحيل تملأها ذعراً، أيضاً. ونظرت إليه وهو يخرج من جيبه مغلفاً فضياً فتحته مترددة.

- أبلغ أبيغايل شكري.

أن تستمتع بقضاء نهار كامل في منتجع صحي هو آخر ما تريده حالياً، لا سيما وأن أبيغايل هي من نظمته كالعادة.

تنفس هانتر بعمق وقال: «لقد حجزته بنفسي منذ يومين في سنغافورة. أرجوك، قولي إنك ستأتين معي الليلة».

لم تجب لأنها حقاً لم تكن تعلم بما عليها أن تجيب. كانت شاكرة له اللفتة الحساسة التي جعلته يحمل حقيبة أوراقه ويخرج ليقابل أبيغايل التي ضغطت على الجرس ساخطة فيما بقيت هي مستلقية على الأريكة،

تتساءل عما إذا كان بإمكانها أن تعامله بالمثل.

مهما كان ذوق هانتر حسناً بالنسبة إلى الهدية، إلا أنها لا تناسب امرأة حاملاً تعاني من حالة قلق بالغ. امرأة لم تخبر زوجها بحملها بعد!

استبعدت حمام البخار، والزيوت العطرة للتدليك، والتمسيد العميق. واختارت رش الجلد بلون أسمر ومن ثم جلسة تجميل وتسريح شعرها. حاولت ليلي أن تسترخي وهي تتصور يدين ماهرتين تزيلان ما لديها من توتر بالتدليك. ولكن مهما جرفتها تصوراتها، كانت تشعر بما يشبه حزاماً من المطاط يشتد على خصرها، يعيدها إلى الواقع بعنف...

لقد قبلت هديته، وقد روّعها هذا. إنها تكاد تسمع صوته الرقيق وهو يحدثها بأكاذيب لعلها في أعماقها تحب سماعها. وتساءلت إن كانت من القوة بحيث تلتزم بالحد الذي وضعته بينهما. الأمر الوحيد الذي طلبته منه هو ألا يخونها إذ لم تشأ أن تنتهي كأمها، فتغمض عينيها لكي تحتفظ به وتمنح ابنها أباً... وتملكها الرعب لهذا التصور. وسرى الذعر في كيانها وهي تتمدد على الكرسي متصلّبة وكأنها في عيادة طبيب أسنان... متسائلة للمرة المليون كيف يمكنها أن تخبر هانتر بذلك.

- هل كنت تأخذين حماماً شمسياً؟

كان يبتلع عدداً من الحبوب لتخفيف الصداع وهو ينظر جانبياً إلى ليلي التي دخلت إلى المطبخ وقد التفت بعباءة محاولة أن تعثر على جوارب حريرية باهظة الثمن اشترتها بعد ظهر ذلك اليوم.

قالت كاذبة وهي تبتسم: «مدة ساعتين فقط».

لن تخبر هانتر أن التألق البادي عليها هو من فعل رش جلدها بلون أسمر!

كان صعباً عليها أن تصدق أن كائناً بحجم حبة البازلاء يمكن أن يحدث كل هذا التغيير في جسدها. على أيّ حال، ورغم أنها وهانتر أثبتا أن المال لا يشتري السعادة إلا أنه يساعد على أن يبدو مظهرها جيداً ويخفي تعاستها. بدا شعرها كثّاً لامعاً، كما أن «الماسكارا» وقطرة العينين جعلتا العينين المتعبتين متألقتين بشكل زائف. أما بشرتها فأصبحت بالسمرة التي يسبغها شاطىء البحر بدلاً من صفرة قشر البرتقال.

قال من دون أي تهكم: «تبدين حسنة المظهر تماماً».

فقالت: «هل رأيت جوربيّ؟ أعرف أنني اشتريتهما...».

وكانت قد قلبت كل وسادة على الأريكة.

- شفاف، أسود؟

- لا. إنه شفاف من دون لون.

- إنه، إذن، ليس مذنباً.

وحاول أن يبتسم لنكتته المحزنة، لكن الابتسامة سرعان ما بهتت، واندفعت أصابعه لتمسد صدغيه وهو يجفل بألم مفاجىء.

- هل أنت بخير؟

كانت تهم بقذفه بوسادة لكنها توقفت لتنظر إليه لأول مرّة منذ عودته من رحلته مدركة مدى غباء سؤالها.

بدا مخيفاً، فوجهه بلون الشمع شحوباً، وقد بدت تحت عينيه لطخ أرجوانية اللون.

- هانتر. ربما علينا أن نصرف النظر عن الذهاب إلى الحفلة الليلة؟

فقال عابساً وهو يضع كأس الماء من يده: «لا أظن ذلك. الناس يدفعون ألف دولار ثمن التذكرة ليروا الزوجين السعيدين...».

ولم يكمل جملته بل سار إلى غرفة النوم وأخذ يخلع ملابسه: «سواء أكان هناك صداع أم لا. إنهم يتوقعون أن يروني باسماً، وأنت

تتأبطين ذراعي».

وتابع خلع ملابسه وهو يضيف: «أنت من سيلفت الأنظار».

- لماذا؟

- لأنك حصلت عليّ. وإذا ما نسيت، فأنا اعتبر عريساً جيداً.

وعندما توجه إلى الحمام، أجابت: «ربما. لكن الصحافيين محرومون من نعمة العيش معك أربع وعشرين ساعة».

ارتدت ثوبها، وكافحت قليلاً لإقفال السحاب وربط أربطة حذائها الخفيف العالي الكعبين قبل أن تحدق في مظهرها في المرآة الطويلة. من الغريب أنها لم تر نفسها قط من قبل بهذا الجمال. كان ثوبها بلون الشوكولا بسيطاً أنيقاً، ضيقاً عند الخصر، ويظهر صدرها ممتلئاً. كما منحتها بشرتها وخصلات شعرها اللامعة، حيوية أخاذة جعلتها تبدو عروساً سعيدة. وتملكها الأمل، في هذه المناسبة، في أن تكذب الكاميرات!

قال هانتر والمصعد يهبط بهما وقد بدا رائعاً في سترة العشاء الرسمية: «شكراً لمجيئك معي الليلة».

- هذا لا يعني شيئاً.

وكانت تعني أن وجودها الآن لا يعني أنها ستبقى. لكن هانتر أساء الفهم، فزاد جوابه من إرباكها إذ قال: «لكنه يعني الكثير بالنسبة إليّ».

وعندما دخلا إلى الحفل أمسك بيدها فلم تمانع. ربما كان اتحادهما هذا في التعاسة، لكنهما متحدان على أيّ حال. وعندما احتلا مقعديهما تملكهما الذهول لما أنجزاه. عندئذ، تهمت مقدار ساعات العمل التي تطلبتها هذه الليلة ولما لم يستطع هانتر أن يلغيها. كل الشخصيات الهامة حضرت. وكان هانتر قد سحب قائمة من حقيبته ففتحت ليلي عينيها على اتساعهما وهي ترى جوائز اليانصيب المقدمة وثمن كل تذكرة.

وأطلقت ضحكة متوترة: «هل الناس يشترون هذه التذاكر؟».

- دعينا نأمل ذلك.

- هانتر!

كان عطر أبيغايل ثقيلاً كزينة وجهها. وشعرت ليلي بمعدتها تتوتر عندما وضعت عدوّتها ذراعاً حول كتف هانتر ومضت تهمس في أذنه. وعندما وقف هانتر، قالت لليلي: «آسفة لأني آخذه منك. ولكن هذا ما يحدث مع الأسف، عندما يجلس الشخص بجانب المضيف».

قال هانتر: «لن أتأخر. أنا بحاجة فقط...».

فقاطعته ليلي: «لا بأس».

لقد أعدت نفسها لقضاء السهرة بعيداً عن غرام إيمّا وجيم، من دون سلوى. لكن إيما تذكرت حسن سلوكها، فتركت نظرات جيم العاشقة مؤقتاً، والتفتت إلى ليلي بابتسامة عريضة: «أنت أول من يعلم».

ومدت يدها لترى ليلي الماسة الرائعة التي لم تكن أكثر تألقاً من ابتسامة إيما وهي تضيف: «طلب مني الزواج هذا المساء. اواه، يا ليلي. لا أستطيع أن أصدق هذا».

- تهاني.

بدت هذه الكلمة بسيطة لكنها كانت نابعة من القلب. وأغرورقت عينا ليلي بالدموع وهي تحدق في الخطيبين السعيدين. الحب موجود حقاً، وهو هنا لمن يريد أن يرى. وبالرغم من شكوكها، وبالرغم من رفضها التام الإيمان به، إلّا أنها أعادت النظر وهي تنظر إلى إيما... وإلى جيم وهو يجلس بجانبها مزهواً خجولاً، وأدركت أنها كانت مخطئة للغاية. الحب الحقيقي موجود. الحب الحقيقي يمكن أن يدوم مدى الحياة.

هذا لو كان متبادلاً!

إنها تحب هانتر، وهي تعترف الآن بما كانت تعلمه طوال الوقت.

أحبته منذ اللحظة التي اكتسح فيها حياتها، لكنه أوضح لها منذ البداية أن هذا لا يمكن أن يحدث. وكانت هي من الغباء بما يكفي لتظن أن بإمكانها أن تلهو طيلة الوقت، فوافقت على عقد مدته اثني عشر شهراً من دون أن تفكر في ما قد يحدث. كانت هي من حطم القواعد.

- آسف لغيابي الدائم!

لم يكن يبدو كذلك على الإطلاق. كان انشغاله واضحاً وهو يمضي الأمسية منظماً الموائد، متحدثاً بلطف، ملقياً كلمات ذكية لا عيب فيها حتى أن ليلي دار رأسها، متسائلة كيف أمكنه ذلك. ولكن عندما أخليت الموائد من الأطباق وتحرك الكل للرقص، كان كل ما حصلت عليه من (السيد) هو رقصة واحدة من دون اكتراث. حتى إيما وجيم كانا يخوضان في أحاديث خاصة، عندما ابتدأ صبر ليلي ينفد. أين هو بحق جهنم؟

نظرت خلف إيما، وبحثت عيناها عنه في أنحاء القاعة، وارتجفت وهي تراه عند الباب. أخذت تنظر إليه وهو يخفض رأسه ليتحدث إلى أبيغايل التي التفت مخالبها الحمراء حول ذراعه تعتصرها بحنان ووجهها الجميل الماكر يبتسم له برقة. شعرت ليلي بسكين تنغرز في أحشائها عندما أخذت أبيغايل تمرّ بيدها على شعره بحركة حميمة وبشكل لا يفعله سوى العشاق.

آخر ومضة أمل زائف انطفأت إلى الأبد عندما طوقها بذراعيه، ثم أخذا يتمايلان مع الموسيقى حتى خرجا من قاعة الرقص.

وهذا جعلها تشعر بإهانة بالغة.

كل ما كانت ليلي تعرفه هو أنها لا تستطيع أن تستمر بهذا الشكل... لا يمكنها الجلوس في قاعة الرقص حتى ولو بدافع الإحسان، حفاظاً على المظاهر الاجتماعية فقط. وأدركت أنها، مع

كل يوم يمرّ، تفقد وضعها الطبيعي وأن مع كل قبلة، وليلة بين ذراعيه، يصبح سهلاً عليها أن تصفح عما لا يحتمل الصفح. أصبحت تعتقد أنه من الأسهل أن تقبل بالقليل الذي يمنحها إياه على أن تفقده تماماً.

- عفواً!

والتقطت حقيبتها محاولة أن تتوارى من دون أن يلاحظ أحد. حاولت أن تتظاهر بأنها خارجة بسرعة لقضاء شيء ما، لكن إيما عبست وسألتها: «هل كل شيء على ما يرام، يا ليلي؟ انتظري لحظة وسآتي معك».

وكان هذا ثمن إسراعها في الخروج. عندما وصلتا إلى استراحة السيدات ورفعت ليلي منديلها تمسح دموعها قالت إيما: «أعرف أنه أهملك طوال السهرة ولكن هذه هي عادته عندما يكون في العمل، وهذه الليلة هي عمل بالنسبة إليه. حتى أنني لم أخبره عن خطبتي إلى جيم. عندما تنتهي هذه الحفلة ستهدأ الأمور. ما كان له أن يتورط في هذا قط».

- ليس هذا هو الأمر...

وتوترت شفتاها. إيما هي آخر شخص يمكنها أن تكشف له عن ورطتها، وقد أخافها مدى رغبتها في أن تفعل ذلك وقالت: «كنت حمقاء فقط...».

وحاولت أن تبتسم، لكنه كان جهداً فاشلاً.

- فلنخرج ونشرب شيئاً.

فهزت ليلي رأسها: «سأبقى هنا قليلاً لأحاول أن أسوّي مظهري».

- وحدك؟

أومأت ليلي وعادت عيناها تغرورقان بالدموع، عندما أدارت إيما كرسيها المتحرك وغادرت المكان، مبتسمة بزهو لاستقلاليتها وهي تتخطى الأبواب بكرسيها. وأدركت ليلي أن صداقتهما شارفت على

النهاية، وشعرت بالشوق إليها منذ الآن.

لقد انتهى كل شيء.

عندما خرجت لتطلب سيارة أجرة، تجاوزت الصف الطويل مفضلة الذهاب سيراً على قدميها. سارت على ضفاف النهر بخطوات سريعة بقدر ما سمح لها كعبا حذائها العاليان، متجاهلة عواء الذئاب من وقت لآخر وقد أعماها الحزن عن مخاطر السير وحدها في مثل هذه الساعة من الليل. وصلت إلى المبنى حيث شقة هانتر، فأدركت أنها لم تكن ولن تكون أبداً بيتاً لها. قررت أن تخبره عن الطفل عندما تكون مستعدة لذلك ثم ضغطت زر المصعد ودخلت إليه. لم يعد رد فعله يهمها الآن، وحده الطفل محط اهتمامها. ومهما كان الطريق التي ستسلكها ستبقى هي قوية. أما الآن فستأخذ حاجياتها وتترك له رسالة قصيرة تخبره فيها أنها ستتصل به بعد أيام قليلة...

لكن لم يخطر لها قط أنه سيطعنها في الصميم. لم تظن يوماً أنه قد ينزل إلى هذا الدرك من الدناءة حين رأت أبيغايل تخرج من غرفة النوم وهي تبتسم بحقد.

- ما الذي تفعلينه هنا؟

فأجابت أبيغايل بضحكة قصيرة هازئة: «في الواقع، يمكنني أن أطرح عليك السؤال نفسه».

- أخرجي من هنا!

صرخت ليلي بهذه الجملة وهي تفتح لها باب الخروج. ولا بد أن أبيغايل أدركت أنها جادة فبعد ثانية من التردد، التقطت حقيبتها وخرجت برشاقة. لكن عندما وصلت إلى المصعد التفتت إليها بابتسامة ملتوية ونادتها قائلة: «ليلي.. عيد ميلاد سعيد».

لقد رخّصها وحطّ من شأنها أكثر مما ظنّت ذلك ممكناً.

دخلت إلى غرفة النوم الرئيسية، وهي تسمع صوت الموسيقى

الهادئة، فرأت جانب وجهه الرائع بينما هو ممدد في السرير وضوء القمر ينعكس عليه مخلفاً لوناً رمادياً.

تقدمت منه على أطراف أصابعها وتأملته فرأت أن ضوء القمر سحب حمرة شفتيه وبريق عينيه، وسمرة بشرته. لكنه كشف الكثير.

سمح لها بأن ترى نفاق علاقتهما، الجمال الذي أعماها، الوهم الذي جعلها تعتقد أن الحب قد يجعل هذا الزواج ينجح بشكل ما.

وقفت دقيقتين أو ثلاث، تنظر إلى صدره وهو يعلو ويهبط، لتحتفظ بصورته في قلبها حتى النهاية. أرادت أن تستوعب وسامته ما دام بإمكانها ذلك. لم تشأ أن توقظه... أن ترى عينيه مفتوحتين، لأن الحقيقة ستتجلّى فيهما... الحقيقة التي لم تستطع أن تعيش معها... وهكذا استغلّت هذه الدقائق الثمينة قبل أن تنتهي، وتشبثت بها قدر إمكانها.

- أنا راحلة.

كلمتان كان من المفترض أن تقالا بالصراخ، لكنهما قيلتا برقة بالغة، ومع هذا تركتا التأثير نفسه. نظرت إليه وجسمه يتحرك تحت الملاءات قبل أن يفتح عينيه: «لا يبدو هذا عليك...».

- هذا لا يهم على أيّ حال.

حدّق فيها طويلاً، ينتظر منها الشرح. وأخيراً قالت: «لا يهم ما حدث الليلة لأنني راحلة على أيّ حال. أنا لست سعيدة معك، يا هانتر».

عندئذ، تبدد أي احتجاج كان يفكر فيه. مهما كان الكلام على طرف لسانه بقي هناك إلى الأبد ليوجّه إليها أكبر الإهانات، إذ تنهد بسأم وانقلب على جنبه، جاذباً الملاءة يغطي بها كتفيه وهو يتمتم: «حسناً، هكذا إذن!».

سأمه، ونبذه لها الخالي من الذوق، كان كالقشة الأخيرة. شعرت

بقبضة قوية تضرب معدتها وأحست بأنها على وشك أن تتقيأ. وعندما همد جسمه تحت الملاءة، تملكتها رغبة مفاجئة في أن ترفسه... في أن تصفعه، وقالت تكرر كلامه: «هكذا إذن؟».

كان صوتها يرتفع مع كل كلمة، وقد توتر جسمها كله لتراخيه وكسله، واستراحته بهذا الشكل الذي حطّ من شأنها بحيث أصبحت كأيّ امرأة أخرى تحطم قلبها. أنثى أخرى تشهق وتسيل دموعها عند النهاية المرّة.

- أنا أخبرك بأنني راحلة فتنقلب على جنبك وتعود إلى النوم؟

- ليلي... ليس الأمر كما يبدو...

ورفع نفسه على مرفقه وفتح فمه ليتكلم لكنها منعته وقد ثار غضبها الذي بقي كامناً، وهي ترى جسده عارياً تحت الملاءة وثيابه مبعثرة على الأرض ورائحة عطر أبيغايل الثقيل تفوح في الجوّ... منعته من الكلام وهي ترغي وتزبد: «إياك أن تقول شيئاً. حتى أن تحاول الكلام، يا هانتر».

لم تغضب قط من قبل. ظنت مرة أنها شعرت بالغضب وهي تقرأ رسائل عشيقة أبيها، وعندما وجدت خطيبها مع أفضل صديقة لها. لكن ذلك الغضب لم يكن ليقارن بهذا الهياج العنيف الذي اكتسحها الآن. ليس هياجاً بل غلياناً... إنه غضب بالغ الضراوة أطلق العنان لنفسه بسرعة لشدّة ما تملكها من ألم... ألم بالغ جعلها تريد أن تذيقه مثله. أرادت أن ترفسه لتخرجه من كسله هذا... أرادته أن يشعر بذرة من العذاب الذي يتملكها الآن.

- أنت حقاً تظن نفسك أفضل من أي رجل آخر. أنت تظن حقاً أن المال والمظهر يجعلاك تنص قوانينك الخاصة. حسناً، أتريد أن تعلم؟

كانت الآن تصرخ.. تصرخ وغضبها يزداد وهو ما زال مستلقياً مغمض العينين وكأنه ينتظر انتهاء هذا كله... بدا واضحاً أنه معتاد

على النهايات العاطفية هذه، وتابعت قائلة: «أنا أفضل منك! أنا أفضل من الخداع والزيف اللذين قدمتهما لي! مهما كان ذلك الذي تهرب منه، أرجو ألا تصل إلى هدفك أبداً. مهما كان ذلك الذي تغرق مشاعرك فيه، أرجو أن يخنقك».

كان لديها صندوق مليء بالمجوهرات ومحفظة مليئة بالبطاقات المصرفية وقصة تعيلها إلى آخر عمرها إذا بيعت. لكن ليلي حزمت قدراً قليلاً من الأمتعة ثم خلعت خواتمها ووضعتها على طاولة السرير الجانبية. وعندما رأت أن الرجل الذي تحب لا يأتي بأيّ رد فعل التقطت بشيء من التمرد، جهاز التحكم عن بعد، وأسكتت «الستيريو» أو بالأحرى أسكتت الضجة التي تسيطر على الموضوع على الدوام.

- أعطيني هذا.

لم تره من قبل بهذه الحدة والخيوية، وعندما ناولته «الجهاز»، أمسك بمعصمها، لكنها انتزعت يدها منه ثم أخرجت بطاريات الجهاز وقذفتها خارج الغرفة: «ركز اهتمامك على ما فقدته، يا هانتر، وتوقف عن تغطيته بالإنترنيت أو الموسيقى أو الجنس أو أي شيء جديد آخر. ركز اهتمامك على ما سيخرج من الباب، وأنا أخبرك الآن أن هذا أحسن ما قد يحدث لك! أنا أحببتك. أنا أعرف أنك لا تريد أن تسمع هذا، أعلم أنك ستزدريني لهذا. ولكن هذا ما حدث... وهو أنني أحببتك».

تأخر المصعد كثيراً، وكان هذا أصعب جزء من الرحلة... أن تقف والدموع تخنقها في انتظار أن يفتح بابه الفضي ليحملها بعيداً.

وأدركت أنه، حتى لو كان يحبها قليلاً، لوجد متسعاً من الوقت لكي يلحق بها.

١٥ - الخبر الصاعق

منذ وجدت رسائل أبيها، لم تعد تشعر بأن البيت بيتها حقاً. لكن الغريب في المسألة هو أنه المكان الذي وجدت فيه ليلي الآن السكينة والعزاء.

كانت مشاكلها أكبر من أن تُحلّ، ولا يمكن أن تلطّف بقبلة أو ابتسامة، لذا من المستحسن أن تنزوي لفترة. من المستحسن أن تستلقي على اللحاف الذي رافقها أثناء مراهقتها لكي تصغي إلى القادم والراحل من أفراد الأسرة، لتسمع خطوات أمها على السلم، وصرير الباب ثم رائحة القهوة المنعشة والخبز المحمص. كانت أمها تقدم لها حباً غير مشروط عندما تجلس على حافة السرير وتأخذها بين ذراعيها تخفف عنها حزنها المروّع.

ولم يتصل هانتر.

قالت الأم للمرة المئة: «كل الأزواج يتخاصمون. أنت تعرفين كم أحبك، ولكن عليك أن تتفاهمي معه. لا يمكنك أن تختبئي هنا إلى الأبد. عليك أن تواجهي مشاكلك كما يفعل الأزواج».

- إنه لا يحبني.

ها قد قالتها. اعترفت بذلك لأمها من دون إسهاب في التفاصيل. لكن كاترين هزت رأسها قائلة: «كلام فارغ. إنه شغوف بك».

لكن ليلي وضعت يديها على أذنيها لا تريد أن تسمع عزاء أمها الحسنة النية وهي تقول: «أنا أعرف أنه يحبك».

كتب وكتب الثقافية
www.liilas.com

- ماما...

- نعم. إنه يحبك. إنه يحبك بقدر ما أحبني أبوك.

لم تستطع احتمال ذلك. لم تستطع احتمال الاستلقاء هنا لتصغي إلى محاضرة من أكثر الضحايا جهلاً وعدم إدراك، أن تصغي إلى حديث عن الحب من امرأة لا تعرف عنه شيئاً. رفعت الملاءة إلى الأعلى، واندست تحتها تشجع نفسها على إعطاء جواب غامض مع ابتسامة شاكرة لأمها التي تحاول تبسيط الأمور.

- أنت تظنينني لا أدرك ما أتحدث عنه، أليس كذلك؟

- أظن أن الأمور كانت مختلفة، بينك وبين أبي. المشكلة هي أنني وهانتر نواجه أموراً...

فقاطعتها أمها تساعدها: «أموراً أكثر تعقيداً، وألماً وصعوبة؟ كونكما أصغر سناً لا يعني أن شعوركما بالأمور أقوى».

- لم أقل هذا.

حاولت ليلي أن تدافع عن رأيها لكن كلماتها تبددت حين قالت أمها فجأة: «كان أبوك على علاقة بامرأة أخرى...».

شعرت ليلي وكأن الأرض كفّت عن الدوران عندما استوعبت ما قالته أمها. لا بد أن الكتب تدور الآن على الرفوف والصور تقع من على الجدران بعد كشف هذا السرّ. لكن عندما اختلست النظر من تحت الملاءة، وجدت الغرفة كما تعرفها بالضبط. الفرق الوحيد الذي استطاعت أن تراه هو تفهم حقيقي في عيني أمها، تفهم للأمور بأبعادها الصحيحة وذلك بعد سنوات من العذاب.

وهمّت ليلي: «كلا».

رغم أنها تعلم هذا منذ سنوات، إلا أنها ما زالت تحاول أن تنكره. لكن العفريت خرج من الزجاجة، مالئاً الغرفة بالصدق الذي تسلل إلى كيان ليلي، ومحا أكثر بكثير مما كان يسري فيه من نفاق... لقد أراها

المرأة التي كانت عليها أمها دوماً.

وكشف عن الطفلة التي ما زالت في أعماقها. وابتسمت الأم لطفلتها، ومدّت يدها كما كانت تفعل في الماضي، إلى خصلة شعر على جبينها تزيحها عن عينيها: «عندما عرفت، شعرت برغبة في أن أقتله. وكنت ساهجره».

- ولماذا لم تفعلي؟

- لقد تركته في الواقع. أتتذكرين حين ذهبنا لنقيم مع جدتك ميلدرام؟

وابتسمت بكآبة، فبدت فجأة أصغر من سنها بسنوات كثيرة. وفي تلك اللحظة عاودت ليلي الذكريات. ولم تعد ترى الآن تلك المرأة المتعبة، بل تذكرت أمها في بذلة مخططة وهي تزمّ شفتيها أمام مرآة منزل جدتها قبل أن تخرج إلى عملها، متمردة مثيرة وموهوبة بشكل ما.

- هل تقولين إنكما انفصلتما؟ لا أتذكر أي خصام بينكما. لا أتذكر...

- لقد أخفينا الأمر عنك. في الواقع، وفي أول يومين لم أخبر حتى أمي عن سبب مجيئنا إلى بيتها لكنها سرعان ما أدركت ذلك.

- هل عرفت؟ هل عرفت جدتي أن أبي كان على علاقة بامرأة أخرى؟ وماذا قالت؟

- لم تقل ما كنت أريدها أن تقوله. أشارت إلى أنني تغيرت... وأنني منذ عدت إلى العمل...

وتنهدت الأم. وفجأة لم تعد المرأة التي تجلس إلى جانبها بل امرأة أخرى أكبر سناً وأكثر حكمة وتفهماً: «كان ثمة شاب في المكتب فتغازلنا فترة وأظن أنّ هذا أثر في عقلي، وفجأة لم أعد مجرد زوجة وأم، فقد كنت أكسب معيشتي بنفسي، وأخرج بعد العمل مع الزملاء...».

وهزّت رأسها فتملك ليلي السرور لأنها لم تكن تعلم ما إذا كانت ستتمكن يوماً ما من طرح هذا السؤال الذي أجابت الآن أمها عنه بقولها: «لم تكن ثمة علاقة بيننا يا ليلي، لكنني فكرت في ذلك. وربما مع الوقت، لو أنني لم أتفاهم مع أبيك، لحدث ذلك. لقد عالجنا الأمر، يا ليلي. عدنا إلى رشدنا، نحن الإثنين، وأدركنا خطأنا... وأدركنا، نحن الإثنين، أننا نحب بعضنا بعضاً».

- وصفحت عنه؟

- وصفح هو عني.

قالت هذا برقة ثم تابعت: «مررنا بفترة صعبة، كانت كجحيم حينذاك، لكننا... كنا أكبر من ذلك كله، يا ليلي. كان زوجاً رائعاً وأباً عظيماً...».

استطاعت ليلي أن تحس بهانتر في الغرفة، تحس بذراعيه حولها، وأدركت أن السرّ الذي تحتفظ به لم يكن قط سرّها لتحتفظ به أو تكشفه أو، على الأقل، تحاول أن تتفهمه. وتابعت الأم: «لا أعرف ما حدث بينك...».

عندئذ، رن جرس الهاتف فأسرعت الأم لتجيب بينما بقيت ليلي مستلقية في سريرها، متمنية لو يحدث مثل ذلك بينها وبين هانتر ولو أن زواجهما قام على الأسس نفسها كزواج والديها فيستندا إليها في الأوقات الصعبة.

قاطع أفكارها صوت أمها متردداً فتملك ليلي الأمل الذي لم يلبث أن تبدد حين سمعت أمها تقول بقلق: «إنه مراسل صحفي».

- قولي له إنني غير موجودة. أخبريهم أنك لا تعرفين شيئاً عن الانفصال.

وقطبت جبينها وهي ترى أمها تتقدم وتجلس على طرف السرير، بدلاً من أن تعود إلى الردهة، واتسعت عيناها كثيراً وهي ترى شحوب

وجه أمها التي أحاطتها بذراعيها، تماماً كما فعلت عندما أخبرتها بموت أبيها.

- إنهم يريدون أن يعرفوا إذا ما اتصلت بي من المستشفى.

- من المستشفى؟

لم تفهم، وسمعت صوتها وكأنه يأتي من مكان بعيد، بينما تحوّل ذهنها إلى هانتر وقد ابتدأت تستوعب الموضوع.

- لقد وجدوه فاقد الوعي هذا الصباح. هذا كل ما أعرفه.

Eman
www.liilas.com

١٦ - سابقى

- كيف فعلت هذا؟ كيف تركته؟

لم تكن ملامح إيمّا المتهمة هي التحية التي توقّعتها ليلي وهم يقودونها إلى غرفة الاستقبال في قسم الطوارئ. كانت تتوقع غرفة مكتظة بالناس، لكنها لم تجد سوى إيما وجيم جالسين معاً في انتظار الأخبار حيث انضمت ليلي إليهما وهي تلهث.

قال جيم: «ليس الآن، يا إيما».

ووضع ذراعه حولها ثم نظر إلى ليلي بابتسامة باهتة، قائلاً: «أنا واثق من أن لديها أسبابها الخاصة».

- لم أكن أعلم أنه مريض.

مرتجفة، جلست على الكرسي وأخذت تنظر إلى ركبتيها وهما ترتعشان، بينما شخرت إيمّا غير مصدقة: «قالت أبيغايل إنه كان غائباً عن الوعي حين تركته الليلة الماضية، وإن السبب الوحيد الذي جعلها تتركه هو عودتك إلى البيت».

فقالت ليلي وأسنانها تصطك: «ليس هذا ما حدث».

ستواجه أبيغايل في ما بعد، عندما تسنح الفرصة لذلك. إنما كل ما تريده الآن هو أن تعرف أخبار هانتر: «أين هانتر، وكيف حاله؟».

قالت إيما هازئة: «وهل يهمك أمره؟».

صمتت ليلي ولم تجب بينما تابعت إيما: «تحدثت إلى هانتر في قسم الطوارئ... وأخبرني بالحقيقة، لذا دعي عنك دموع التماسيح

وكفّي عن الادعاء بأنك تهتمي لحالته. آه، حقاً أنت تهتمين كثيراً بصحة هانتر... فستصبحين الأرملة الثرية!».

سألتها ليلي والخوف البالغ يتملكها، والشعور بالذنب أيضاً غير المقصود يعذّبها: «ما الذي حدث له؟».

لقد وقفت وراحت تصرخ به بكل حماقة بينما هو مريض. ومن حسن الحظ أن جيم تدخّل، وأجابها موضحاً: «إنهم غير واثقين، وهم يجرون له الآن فحصاً. لقد استدعوا له أفضل أطباء الأعصاب، ونرجو أن نحظى بجواب سريع. إنه مريض منذ أسابيع، حسب قول أبيغايل. وقد ذهب لرؤية الطبيب بالأمس بعد عودته من أندونيسيا كما أخذ موعداً لإجراء بعض الفحوصات يوم الإثنين».

- آه، رياه!

ودفنت ليلي وجهها بين كفيها وهي تتخيّل وجهه المتعب المغبّر اللون وكأنه يقف الآن أمامها، وهمّت بأن تمدّ يديها إليه كما لم تفعل حينذاك، لتقوده إلى السرير. واستعادت في ذهنها الكثير من التفاصيل التي أغفلتها حينذاك. الحبوب المزيلة للألم، مشيته غير الثابتة، مزاجه السيء للغاية... لقد كان مريضاً: «أواه يا هانتر».

وانهمرت دموعها من بين أصابعها وهي تتصوره بزهوه وقامته الرائعة مستلقياً، وجهاز كئيب المظهر يتصل بذراعه وقد بدا عليه المرض والخوف. مهما حدث بينهما، ومهما كان شعوره نحوها، فلن يطفىء هذا نار الحب التي تشتعل في قلبها. وقالت إيما باشمئزاز واضح: «أرجوك. وفّري دموعك من أجل الصحافة. لقد وثقت بك، يا ليلي. جلست معك وأفرغت ما في قلبي أمامك، ولا بد أنك كنت تسخرين مني طوال الوقت. لقد كذبت بالنسبة إلى رغبتك في أن تكوني بيننا!».

- أبداً. أنا أحبك من كل قلبي يا إيما.

شبكة ليلاس الثقافية
Imam
www.liilas.com

ونظرت ليلي إلى أخت زوجها فشعرت وكأنها تنظر في مرآة. . . رأت الألم والاضطراب والمذلة أشبه بحالتها هي عندما وجدت الرسائل. . . واصغت إلى إيما وهي تصف الوقت الذي أمضياه معاً بالخداع، ثم تقول: «أنت لم تحبي أحداً. كان هذا خداعاً. زواجك، صداقتنا. لم أكن أريد صديقة زائفة. أردت فقط أن يكون أخي سعيداً، أن يجد سكينة النفس».

وشهقت باكية فقالت ليلي بما يشبه الهمس: «وأنا أريد له الشيء نفسه. أنت لا تفهمين الموضوع. . .».

- بل أفهم.

ونظرت إليها إيما بجمود وقد جفت دموعها، مظهرة بعض القوة التي ساعدتها على تجاوز أسوأ سنوات حياتها: «لقد هجرت رجلاً مريضاً للغاية صودف أنه بالغ الثراء. سرّك القذر لن يغادر هذه الغرفة حالياً. لكنني أقسم لك، إذا حدث أي سوء لأخي، فسأحاربك حتى النهاية. كما أنك لن ترثي قرشاً واحداً».

لم تكد ليلي تستوعب ما تهددها به إيما حتى فتح الباب ودخلت أبيغايل، يتبعها طبيب عرّف عن نفسه. لا بد أنهم استدعوه من ملعب الغولف لأنه ما زال ينتعل الحذاء المخصص لهذه الرياضة. وكان أسهل عليها أن تركز تفكيرها على هذا بدلاً من أن تركزه على كلمات إيما المروّعة، أسهل أن تركزه على هذا وهي تشجع نفسها لتلقي الأخبار.

- بدأنا لتوّنا بالحصول على بعض نتائج الفحوصات، ويبدو أنه التقط فيروساً ما، ولكني لا أستطيع أن أقول أكثر حتى نستلم نتيجة اختبار سائل النخاع الشوكي. إنه يرتاح الآن في غرفة خاصة.

فقالت إيما وهي تشير إلى كرسيها المتحرك: «سأذهب وأجلس بجانبه».

واستدارت أبيغايل على عقبيها لكي تلحق بها.

لكن الطبيب قال: «شخص واحد في كل مرة. لقد أعطيناه حالياً منوّماً، وهو بحاجة إلى راحة أكثر من أي شيء آخر».

قالت ليلي من دون أن تميّز صوتها تقريباً: «سأجلس أنا بجانبه».

وبالرغم من المشاعر التي تعصف في داخلها، وبالرغم من الدموع التي تسيل على خديها، كان صوتها متزناً ومنضبطاً. لم تتكوم إيما عليها بنظرة وهي تخرج على كرسيها المتحرك من الباب قائلة: «لا تكوني سخيفة».

وسبقتهما أبيغايل إلى المصعد وهي تقول لها: «ما الذي يجعلنا نسمح لك بالجلوس إلى جانبه؟».

- لأنني زوجته.

والتفتت ليلي إلى الطبيب وهي تمسح دموعها: «بصفتي زوجته، أعتقد أنّ لديّ كل الحق في أن أكون معه».

ورأت ما بدا على ملامح إيما، عندما أشار الطبيب إلى الممرضة بأن تصحبها إلى غرفة هانتر فترددت. أي حق يجعلها تقوم بهذا أو تتخذ أي قرار بشأنه؟

دخلت الغرفة على أطراف أصابعها فشعرت بتوتر مؤلم في قلبها. حاولت أن تقنع نفسها بأنه نائم فقط لكنها فشلت فالنوم راحة واسترخاء، بينما بدا هانتر محطماً. وبالرغم من المهدىء والغرفة المعتمة، كان جسمه لا يتوقف عن الارتعاش، ووجهه أغبر وكأنه تقدم في العمر عشر سنوات. وتضاعف شعور ليلي بالذنب، وكأن الذنب ذنبها في ما أصابه، وكأنها هي السبب.

أمسكت بيده فشعرت بها باردة، فأمسكتها بيديها الإثنتين محاولة أن تبعث الحرارة فيهما. حدقت في أصابعه الطويلة كما فعلت ليلة تعرفهما، فرأت أظافره التي كان يقرضها، وتمنت لو يرتاح، لو يدع ما

يصل إلى جسمه من الجهاز، يغذيه ويمحو تعاسته، ولو قليلاً.

- أنا آسفة.

كان صوتها يغص بالدمع، وبالرغم من أنه لم يكن يسمعها إلا أنها أضافت: «آسفة لأنني لم أر أنك مريض. آسفة لأنني أفسدت الأمور...».

وارتعشت شفتاها وسال أنفها. حتى أنها أطلقت ضحكة مخنوقة حين تصورت ذعره لو رآها الآن... وتابعت: «آسفة لأنني أحببتك».

شعرت بيد على كتفها فأجفلت والتفتت لترى إيمّا التي دخلت الغرفة بصمت. بادلتها التحديق عينان بنفس زرقة عيني هانتر: «وأنا آسفة أيضاً. أنت تحبينه حقاً، أليس كذلك؟».

- هذا لا يعني أنه مسرور لذلك. لم يكن هذا جزءاً من الاتفاقية.

هزت إيما رأسها بعجز: «ما قلته هناك... لا أستطيع أن أصدق أني أسأت فهم الأمور إلى هذا الحد. كنت في غاية الارتباك لأنكما تزوجتما لكي تبعثا الإستقرار في نفسي...».

- لم يكن الأمر كذلك. من ناحيتي على الأقل.

قالت ليلي وعقلها يعمل بسرعة بحثاً عن جواب، ولكن ما من شيء تقوله الآن يمكن أن يمحو الماضي... وحدها الحقيقة يمكن أن تعمل كمهدئ».

قالت إيما وهي تحدّق في أخيها طويلاً: «أعرف هذا».

وانهمرت دموعها غزيرة مرة أخرى، وكان على ليلي أن تواسيها. ورغم عدم رغبة ليلي في أن تترك يد هانتر، إلا أنها فعلت ذلك إذ كانت تعلم أن هذا ما يريده. وتبعت إيما إلى الردهة لكي تسمع وتكشف الحقيقة الكاملة.

قالت ليلي: «ظننته كان نائماً مع أبيغايل. رأيته الليلة الماضية يطوقها بذراعيه ولهذا بكيت أثناء الحفلة».

فقالت إيما: «لكنه كاد يغمى عليه في الحفلة، ولهذا السبب أحضرته أبيغايل إلى البيت. لم تخبرك أنه سيخرج لأنه عجز عن ذلك. يبدو أن كل ما أراده هو أن يخرج من دون أن يحدث اضطراباً في الحفلة».

- يمكنني أن أفهم ذلك الآن. ولكن عندما وصلت إلى البيت...

وأغمضت عينيها عن الصورة المروّعة، فهي ما زالت ترى ابتسامة أبيغايل المصطنعة وهي تخرج من غرفة النوم. وعادت تقول: «جعلتني أبيغايل أعتقد أنهما كانا معاً. لعلها لم تقصد الليلة الماضية، لكنني ما زلت غير متأكدة مما إذا كان مخلصاً».

- وماذا لو كان غير مخلص؟ ماذا لو اقترف غلطة؟

- إذن سينتهي الأمر. أخبرته عندما وافقت على الزواج أن هذا ما لن أغفره قط.

- وما الذي يدفعه إلى تدمير كل شيء؟ حاولت أن أساعده، ناشدته أن يتمهل... وعندما سمعت عن جمعيتك رأيت أنه إذا ذهب إليك فربما...

جمدت ليلي مكانها فجأة. للمرة الثانية في يوم واحد يزداد اهتزاز الأرض تحت قدميها.

همست ليلي وهي تتذكر وجهه المتغطرس حين دخل النادي وسأمه من الاجتماع، وعدم رغبته الواضحة في التواجد هناك: «لقد جاء إلى (جمعية بدايات جديدة) من أجلك».

- لا ليس من أجلي. لم أكن بحاجة إلى مساعدة بعد أن وصلت إلى سكينة النفس. كنت أكثر من جاهزة لمتابعة طريقي في الحياة. هانتر هو الذي كان يكافح. إسمعي، أنا لا أقول إن الأمر كان سهلاً عليّ. لكن وبالرغم من كافة إصاباتي، والتصاقي بهذه الكرسي طوال حياتي، إلا أنّ هذا لا يقارن بما يعانيه هانتر.

- لا أفهم.

الآن فقط اعترفت بذلك. استطاعت أن تعترف الآن بعجزها المخيف عن الوصول إليه، وكشفت لإيما عن مدى قلة ما تعرفه عنه. وسألتها: «ماذا حدث بالضبط في سنغافورة؟ أخبرني أنه لم يكن يقود السيارة حتى أنه لم يكن في السيارة...».

- لقد نظّم السهرة كلها.

أغمضت ليلي عينيها أسفاً لأجله، بينما تابعت إيما تقول: «كان في سنغافورة في عمل بينما كنت أنا أعزف موسيقاي هناك فخطر له أنه إذا سمعني والداي، واجتمعنا كلنا معاً لليلة واحدة، إذا أخرجنا أمنا وأبانا من البيت ليستمتعا مع بعضهما البعض، فقد يحسّن هذا علاقتهما. لم يقبلا بالمجيء، لكن هانتر أقنعهما بذلك. رتّب لهما مسألة الرحلة والحجز في الفندق حتى أنه أرسل لهما سيارة لتحضرهما من بيتهما».

- آه، يا إلهي!

- حضرا الحفلة ورأياني أعزف، ثم استُدعي من أجل عمل طارئ، فقال لنا إنه سيقابلنا في الفندق لنتناول العشاء معاً. حينذاك حدث الاصطدام. هل رأيت الآن لما يلوم نفسه؟

كان وجه إيما بالغ الشحوب وهي تتابع: «لقد لام نفسه وما زال يفعل، رغم أنني أطلب منه دوماً ألّا يفعل ذلك. أنا أتفهّم مشاعره تماماً لأنني ألومه أحياناً أنا أيضاً. لو لم يتدخل، لبقي أبي وأمي حيين ولكنت أنا أسير على قدميّ...».

وسكتت وهي تنظر إلى ليلي بطرف عينيها وكأنها تنتظر منها أن تجفل، أن تؤنبها بشكل ما أو تعتب عليها، على الأقل. لكن ليلي ابتسمت لها بحنان وتفهم، وهي تركع على الأرض وتحيطها بذراعيها، قائلة برقة: «لا بأس. لا بأس في أن تشعري بذلك أحياناً».

فسألتها إيما وهي تزدرد بريقها: «أحقاً؟».

- إذا لم تفعلي هذا لما كنت بشراً. ربما هذا ما يحتاج هانتر لأن يسمعه. فرغم ما تسببه الحقيقة من ألم، إلّا أنها أفضل علاج أحياناً.

- الغريب هو أن يتبيّن أخيراً أن هانتر على حق.

وألقت إيما نظرة من حولها وكأنها تستغرب أن يبقى العالم على حاله بعد اعترافها هذا ثم عادت تقول: «تلك الليلة في المقهى، وقبل حادث الاصطدام، كان والداي من السعادة كما لم أرهما من قبل. أخبراني أن تلك الليلة هي أسعد ليالي حياتهما. وأنهما فخوران بنا، نحن الاثنين...».

لم تعرف ليلي ما إذا كانت إيما تستخدم خيالات شاعرية لتغطي الذكريات المؤلمة، أم أنها تقول الحقيقة فعلاً. كل ما تعرفه هو أنّ هذا التخيّل إذا ما ساعد على التخفيف من العذاب، فهو ما تحتاج إيما إلى الاعتقاد به...

وكذلك هانتر.

- سيدة مايلز؟

كان الطبيب قد استبدل حذاء الغولف بحذاء عادي أنيق من الجلد. وقفزت وهي تسمعه يناديها ليقول: «تلقيت لتوّي نتائج فحوصات زوجك».

كان بإمكانها أن تواجه هذا الأمر وحدها... أن تبعد إيما فلا تسمع ما لديه ليقول. لكن هذا النهار لا علاقة له بمن يستحق أن يسمع ومن هو على صواب ومن هو على خطأ، فهو يخص هانتر وحده. وأمسكت بيد إيما... وتشجعت المرأتان لسماع الخبر.

لم تعرف ليلي كم مضى عليها من الوقت وهي جالسة تنتظر. لم يعد للوقت معنى وهي جالسة تراقب صدره يعلو وينخفض بانتظام. وعندما فتح عينيه ألقى عليها نظرة جانبية بتلك الطريقة التي تذيب قلبها على الدوام.

قالت له برقة: «عد إلى النوم».

- هل أنت هنا؟

أحست بتشوّشه واضطرابه، فأسرعت لتخفف عنه. لامست وجهه الجميل طالبة منه أن يستريح، وقد عرفت بالغريزة الكلمات المناسبة التي عليها أن تقولها له.

- أنا هنا لأنني أردت أن أكون هنا.

لقد راقبت القمر وهو يرتفع في السماء، وراقبت الشمس وهي تشرق كل صباح. راقبت أكياساً من المحاليل تتغيّر. وانتظرت حتى أشرقت الشمس من جديد مبشرة بيوم آخر، مزيلة اللون الرمادي ليغرق العالم في الألوان. وزحف إلى الغرفة ببطء لون وردي حوّل لون شفتيه الأزرق إلى لون أحمر، وتحوّل صعود وهبوط صدره المرهق إلى إيقاع أسهل. ولأول مرة في حياتها، تسمح ليلي للغير بأن يرعاها. رشفت القهوة التي أحضرتها إيما، ضاغطة على يدها وهي تعود أدراجها بنفس الصمت الذي جاءت به... شعرت بأن أخت زوجها أدركت حبها لأخيها، هذا الحب الحقيقي، لأنه، سواء بادلها هذا الحب أم لا فهذا غير مهم. فحتى لو تركته بسبب كل ما فعله، ستبقى تحبه. الحب الحقيقي ليس بحاجة لأن يكون متبادلاً لكي يعيش.

- هيه...

وأجفل هانتر، الذي بدا شاحباً في أشعة الشمس التي غمرته، أجفل لما شعر به من ألم في تلك اللحظة، وهو يتابع: «ظننتك هجرتني».

- حاولت ذلك، صدقني.

- أنا آسف! آسف لأنني جعلتك تعانين. لم أكن أريدك أن تعرفي.

قالت ببساطة: «حسناً، لقد عرفت».

هذا ليس وقتاً للحقد، ولا ينبغي أن تزعجه بسرد آلامها. وتابعت:

«وأنا لست هنا لأصعّب الأمور عليك. في الواقع، أنا هنا لأقول لك إني آسفة أنا أيضاً... آسفة لأنني لم أكن أعلم أنك مريض حين أخذت أصيح بك».

- أردتك أن تتركيني.

اعترافه القاسي هذا حرك آلامها، وتحطّم تعهّد ليلي لنفسها بأن تبقى هادئة مع تحطّم كبريائها.

قالت محاولة أن تبقى هادئة: «كان بإمكانك أن تخبرني بذلك. لم يكن عليك أن تعاشر أبيغايل لتحملني على الرحيل».

- أنا لم أعاشر أبيغايل قط.

رغبت في أن ترتاب بكلامه، لأن رغبتها البالغة في أن تصدقه أفزعتها. ومع ذلك صدقته فهذا ليس وقتاً للكذب. كان صوته هادئاً تماماً، وعيناه تنظران إليها مباشرة ما جعلها تعلم أنها تسمع منه الحقيقة.

- لو أخبرتك أنني مريض لبقيت معي، ولكن لأسباب خاطئة فقط.

إنه يبعث التشوّش في ذهنها مرة أخرى. وها هي مرة أخرى تفقد مجرى الحديث، تنفست بعمق، محاولة أن تفهم ما يتحدث عنه.

وعاد يقول: «كنت بقيت بدافع الواجب».

قطبت جبينها: «أي واجب؟ هانتر...».

كانت قد بدأت تستوعب كلماته. يبدو أن الأمور كانت مشوشة تماماً لكن وبعد أن انتظمت، ابتدأت تصبح مفهومة. لكن ليلي شعرت أنها بحاجة إلى توضيح، بحاجة إلى ذلك الجزء المفقود قبل أن تقدم على الخطوة التالية: «هانتر، ممّ كنت تعاني برأيك؟».

لم يجب، بل أخذ يحدق في السقف بينما أخذت هي تشرح له بلطف ما قاله الطبيب: «لديك عدوى بكتيريا. التهاب خطير في الأذن الوسطى».

- أتعنين أني مصاب بالتهاب في الأذن؟

وانفجر ضاحكاً، لكن ضحكه توقف في منتصفه، ما جعل ليلي تلمح العبء الذي يحمله.

أمسكت بيده بلطف، شاعرة باشتداد أصابعه على يدها وهو يحاول استيعاب ما قالته. وطال إمساكها بيده قبل أن تتركها آسفة، وهي تقول: «أنت لست الوحيد الذي يطلق العنان لمخيلته. لقد تصورتك أنا من زمرة المدمنين على الكحول أو المخدرات».

حاولت أن تجعل صوتها مرحاً، لكنها لم تكن تبتسم. وسالت الدموع على خديها وهي تحدّق فيه: «ماذا كنت تظن مرضك؟».

- كمرض أبي...

أدركت حينئذ مخاوفه وقد تملكتها الصدمة. مخاوفه الحقيقية... العبء الذي كان ينوء تحته منذ لحظة تعارفهما. وعاد يقول: «ظننت أنني سأفعل بك ما كان أبي يفعله بأمي. واستمر الدوار يصيبني..».

- الالتهاب يتسبب بعدم ثبات وصداع. لكن وضعك لا يقتصر على هذا فقط. قال الطبيب إنك مرهق، يا هانتر... أنت لست منهكاً وحسب أو متعباً، بل مرهقاً بشكل بالغ. قال الطبيب إنه لا يعرف كيف استطعت القيام برحلاتك وأنت في حالتك تلك، وأن هذا كان يشكل عذاباً، لماذا لم تقل شيئاً؟ لماذا لم تخبرني؟

- لأن القلق عليّ ليس من واجباتك.

لقد قالها مرة أخرى. لكنها هذه المرة واجهته بدلاً من أن تهرب: «لكن الأمر ليس بهذه السهولة، أليس كذلك؟».

- كنت ستبقين، أليس كذلك؟

سمّرها بعينيه الزرقاوين اللتين لم ولن ترى مثلهما. كان سؤاله القوي أكثر ما واجهته عنفاً.

- ليس للأسباب التي تظنها.

- أنا لا أتحدث عن المال، يا ليلي.

لم يكن يتحدث عن ذلك فعلاً. لم يكن عليه أن يخبرها على الأقل. فحتى لو أنّ هذا الزواج زواج عادي، مضى الوقت الذي يعتبر فيه المال هو الأساس. وقال: «أنت بقيت لأنك شعرت بأن هذا من واجبك. لأنك، أخلاقياً أو قانونياً، تعتبرين نفسك زوجتي».

- لا.

وهزّت رأسها وأغمضت عينيها أمام نظراته خائفة من انكشاف حقيقة مشاعرها، من الكشف عن الحقيقة.

- ليلي.

ترك يدها وأحاط وجهها بيده يتحداها أن تنظر إليه لكنها بقيت ترفض: «أفضّل أن أموت وحدي على أن تعتني بي من باب الواجب».

فتحت عينيها وسألته بصوت مرتجف: «أتعدني؟ عدني بأن تتذكر هذا الشعور. عدني بأن تكون صادقاً معي الآن».

فأومأ بارتباك.

- أنا حامل.

جمد وجه هانتر تماماً، بينما عادت هي تقول: «وأنا مثلك، أفضل أن أكون وحيدة على أن ترعاني مدفوعاً بالواجب. لا أستطيع احتمال ذلك».

- لن تكوني مضطرة إلى ذلك.

وأمسك بيدها، وجلس قليلاً في السرير. كان لا يزال قوياً حتى وهو مريض، وتابع يقول: «ليلي، الطفل لن يكون سبب نجاحنا. الطفل ليس سبباً كافياً كي يجعلنا نعيش معاً».

فقالت كارهة الحقيقة، شاكرة له صدقه: «أعرف هذا».

- إلا إذا شئنا هذا نحن الاثنين، إذا شئنا أن نعيش معاً.

كانت هذه أسوأ لحظة تفكر فيها بمظهرها. لكن الغرور والخيلاء

حاولا أن ينتصرا إذ ذكراها بانتفاخ عينيها وأنفها السائل، وبأنها ما زالت تواجه أوسم رجل رأته في حياتها حتى وإن كان على سرير في المستشفى.

قالت: «أنت لا تؤمن بالحب».

فابتسم: «وأنت أيضاً لا تؤمنين به. أنت واقعية».

- وأنت بالغ التحكم والسيطرة.

تعلقت ليلي بالقشة وهو يجرها إليه: «لا أدري إذا كنت أريد أن أمضي حياتي...».

- شعرت بخوف شديد من أن أفقدك.

أسكتها اعترافه البسيط هذا وصدقه الذي كانت بحاجة ماسة إليه: «خفت عليك من التأرجح على ذلك الكرسي في ذلك البيت اللعين. أخاف عليك من أن تقودي سيارتك في الأنحاء، أخاف أي شيء قد يأخذك مني. أعلم أنني كنت مخطئاً جداً، لكنني لم أشأ أن يحدث لك شيء».

- كما حدث لهما؟

أكملت كلامه، لأنها كانت تعرف شعوره، لكنها لم تتصور قط أن ينعكس عليها.

- لقد فقدت ودمّرت كل من أحببتهم ولا أريد أن يحدث هذا لك. لم أستطع أن أتصورك وقد أصابك أذى. لم أحتمل التفكير في أنك سترحلين. لكن، وفي الوقت نفسه، لم أستطع أن أواجه فكرة بقاءك فقط لأنتهي برؤيتك تعتنين بي.

وسكت قليلاً ثم تابع: «أنا أحبك».

تكلم هانتر ببطء ووضوح بالغين بحيث لم يبق مجال للشك: «أحبك لأنك مرحة ورقيقة وطيبة الخلق. أحبك لأنك، سواء أحببتني أم لم تحبيني سترعينني وتهتمين بأمري ولو أن هذا سيخيفني. أحبك

لأنني، ولأول مرة في حياتي، أردت أن أعود إلى بيتي...».

كان يتحدث وهو ينظر إليها مباشرة: «لأول مرة في حياتي أشعر بأن لي بيتاً».

سألته: «أتحبني حقاً؟».

ضحك: «أحبك لأنك ما زلت لا تصدقين رغم أنني أقول ذلك مرة بعد مرة. يا إلهي يا ليلي. أنا مستلقٍ على السرير هنا أخبرك بكل هذا كرجل غبي حتى من دون أن أعرف شعورك، أليس هذا دليلاً كافياً؟».

ردت قائلة: «أنت تعرف شعوري. ما الذي يجعلني أحتملك؟».

- آه... يمكنني أن أفكر في بعض الأسباب. لأنني غني، لأنني ماهر في السرير، لأنك حامل وتشعرين بأن لا خيار آخر أمامك...

كان يتكلم بنبرة ممازحة، لكنه كشف لها بذلك عما في داخله، سامحاً لها بأن ترى مخاوفه. كانا، هما الاثنين، صادقين لأول مرة، وشعرا بروعة ذلك.

- هذه ليست أسباباً للبقاء يا هانتر. إنها أعذار.

وابتسمت وهي تلقي عليه محاضرة حادة قصيرة تماماً كما فعلت ليلة تعارفهما.

فواجهها، تماماً كما فعل ليلة تعارفهما: «كفى تهرباً من الموضوع».

- أنا لا أتهرب.

- ما هو إذن السبب الحقيقي الذي يدفعك إلى البقاء؟

أخذت نفساً طويلاً وهي تتخيل نفسها زوجة حقيقية لهانتر. ودار رأسها قبل أن تنطق بالكلمات التي كانت واثقة من أنها لن تقولها قط: «أنا باقية هنا لأنني أحبك».

www.liilas.com

الخاتمة

- أظن أنّ كوري نبت له سن.

وصل صوت إيمّا من الردهة إلى المطبخ حيث كان هانتر وليلي يحاولان بذعر أن يجهزا عشاءً جيداً في خلال دقائق بعد أن نسيا دعوتهما لجيم وإيمّا على العشاء الليلة.

أصبحت الفوضى هي الحالة الطبيعية في حياتهما هذه الأيام... وأصبح البيت بيتاً حقيقياً. فلا طعام من المطاعم، ولا خضوع لجدول مديرة منزل. كانت سعادة فوضوية.

واختار هانتر أن يرسل مندوبين عنه في رحلات العمل فأصبح يتواجد غالباً في البيت... وحدها ليلي كانت تعمل الآن بعد أن أكملت دراستها، وأصبح لديها مجموعة صغيرة ولكن ثابتة من المرضى.

ونادت إيما: «ألا ينام في الليل حتى الآن؟».

- هل تشير إليك أم إلى الطفل؟

طرحت ليلي عليه السؤال بابتسامة عريضة قبل أن ترفع صوتها لتجيب بوقاحة: «إذا كنت محظوظة أستطيع أن أحظى بأربع أو خمس ساعات نوم».

وأضافت وهي تدفع إلى هانتر بصلصة التوابل: «افتح هذا».

فقال متظاهراً بأنها جرحت كرامته: «ثمة ثوم مطحون في الثلاجة».

- أرجو ألّا تكونا قد أزعجتما نفسيكما...

وسكتا عندما دخلت إيما على كرسيها ورأت الفوضى التي تسود المكان فأدركت أنها لم يزعجا نفسيهما على الإطلاق.

وأجفل هانتر في الواقع وقال: «إيمّا... لقد نسينا... آسف! فلدينا طفل صغير وغير ذلك...».

فقالت إيمّا متظاهرة بالعذاب: «لا بأس».

لكنها ما لبثت أن انفجرت ضاحكة وأضافت: «في الواقع، لقد نسينا نحن أيضاً. لم تتذكر أنه من المفروض أن نلبّي دعوتكما على العشاء إلا منذ نصف ساعة!».

- لماذا لا تتصل بمطعم صيني...

فغضنت إيما أنفها: «أو هندي...».

وما لبثت أن هتفت: «المعجّنات عظيمة. في الواقع ليس لدي شهية على الأكل... هل كنت مثلي يا ليلي في فترة حملك؟».

واحمر وجهها فأجاب هانتر عن ليلي: «يا إلهي، كلا. كانت تأكل مثل...».

ولم ينه كلامه بعد أن أدرك فجأة ما تعنيه. في تلك اللحظة، دخل جيم وناوله طفله بينما تابع هانتر: «أتعنين أنك...».

- هذا ما نحاول أن نخبركما به منذ جئنا إلى هنا وسيصبح لدينا طفل! لقد تأكد هذا عصر اليوم. أجريت فحصاً طبياً وتبيّن أني حامل منذ عشرة أسابيع.

فسألها هانتر: «وهل ستكونين على ما يرام؟ أعني بالنسبة إلي...».

وأخذ نفساً عميقاً ثم أرغم نفسه على القول: «ماذا عن إصاباتك؟».

- سأخضع لولادة قيصرية. وقد لا أكمل الأشهر التسعة. عدا ذلك يبدو الطبيب واثقاً من أن الحمل سيكون طبيعياً.

شبكة ليلاس www.liilas.com

عانق هانتر أخته وكوري الصغير بينهما. وكانت ليلي تدرك معنى أهمية ذلك بالنسبة إليه إذ أخبرها من قبل أنه يشعر بخوف بالغ من ألا تحمل أخته قط... كان هذا خبراً رائعاً زاد في سعادتهم جميعاً. وعندما خرجت إيما مع زوجها، أثبت لها هانتر ما تفكر فيه إذ حدّق في طفله طويلاً قبل أن ينظر إلى ليلي: «أردت لها هذا عندما ولد كوري... أردت لها بعض السعادة».

وارتجف صوته تأثراً.

هذه المرة، لم تمنعه ليلي من الكلام بل ساعدته على الاستمرار. لم يعد هذا الموضوع رفيقاً دائماً في حياته.

- إن أحوالها رائعة يا هانتر. أنتما الاثنين في أحسن حال. ولو كان أبواكما على قيد الحياة لافتخرا بكما.

- أتظنين ذلك؟

كان عادة يتجاهل كلماتها هذه... أبواه ومصيرهما المفزع حقل ألغام لا يدخلانه إلا نادراً.

لكنه الآن أطال الحديث وهو ينظر إلى طفله: «لا أدري حقاً ما سيكون عليه شعورهما لو أنهما على قيد الحياة...».

ورفع عينيه عن ابنه إليها فاشتبكت نظراتهما بدائرة لا تنتهي من الحب: «أنا مزهو... مزهو بكما... مزهو بنفسي... مزهو بنا جميعاً».

www.liilas.com